9me Année No. 399

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 24 - 2 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٩٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

## الفهــــــرس



من دروس الحرب

# بين اللاتينية والجرمانية

كان بعض المولعين بتصنيف الناس من علماء الأجناس يقولون إن الله اصطفى الآريين على الساميين بمواهب العقل الأصيل فألهم الحكمة ؛ ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتى العلم والحكم وهيِّئ بفطرته لملك الأرض وتمدين العالم . واستغل المستعمرون هذه الفكرة فسرقوا بها مُلك العرب ، ونسوا أن العرب ، وهم ساميون ، كانوا خلفاء الله وورّاث المعرفة فى الدنيا ؛ واستغلها النازيون آخر الأمر فسرقوا بها مال اليهود ، ونسوا أن اليهود ، وهم ساميون ، كانوا الرأس الخلاق واليد المصرفة فى ألمانيا

ولعل هؤلاء المصنفين لخلق الله يشغلون بالهم اليوم بما يتجلى من الفروق بين اللاتينية والجرمانية وهما شعبتان من الآرية ، ليعلموا أن من عوامل البيئة والتربية وطريقة العيش ما لا يقل أثراً فى اختلاف العقل وتغير الُخلق عن عوامل الجنس والوراثة . ولئن كان فى فكرة الآرية والسامية أكثرُ الكذب الذى يسنده الغرض ؛ فإن فى فكرة اللاتينية والجرمانية أكثر الصدق الذى يؤيده الواقع . وإذا كان الغربيون قد انتفعوا بفكرتهم فى أن يسودوا ، فإنا حريون أن ننتفع بفكرتنا فى أن نتحرر

* * *

لأمر ما تنهار اللاتينية وتتماسك الجرمانية وقد مسهما من هذه الحرب الطحون عذاب لا يختلف!

هنا الديمقراطية الوادعة تتمثل في دولة جرمانية هي انجلترا، ودولة لاتينية هي فرنسا؛ وهناك الدكتاتورية الباغية تتمثل في دولة من الدول الجرمانية هي ألمانيا، ودولة من الدول اللاتينية هي إيطاليا؛ فما هو إلا أن امتحنت الحرب بنارها معدن الفريقين حتى ذابت فرنسا هنا وتفككت إيطاليا هناك، وظلت الأمتان الجرمانيتان ثابتتين، تتصارعان بعبقريات الذهن، ومبتكرات العلم، ومهلكات المادة، والعالم كله يشهد هذا الصراع العنيف المخيف وهو من هوله الهائل لا يتقارُّ ولا يتماسك. وسيكون النصر ولا ريب للفريق الذي يحالفه الحق والصدق والصبر؛ ويومئذ تنقسم الجرمانية كذلك إلى سكسونية تعتمد على قوة الخُلق، وتوتونية تعتمد على سمة الحيلة

ليت شعري من أين أُتيت اللاتينية حتى انخرعت فما تقوم، وانماعت فما تتماسك؟ لم تُؤت يا زعماء الشرق إلا من جهة خصائصها التي تبجحت بها حيناً من الدهر، وهي الإفراط في الأدب والفن والكلام، حتى غلب فيها النظر على العمل، والحفظ على التفكير، والخيال على الواقع. وقاعات التمثيل على أندية الرياضة؛ فمن المعقول ألا يقام لها وزن مع الجرمانية التي كان من أظهر خصائصها الممتازة أن ألَّفت ثقافتها وحضارتها من عناصر معلومة المقادير مضبوطة النِّسب من كل مايتصل بالمادة والأدب، وبدخل في غــذاء الجسم والروح، فلا يطغى معنًى على معنى، ولا يجور شيء على شيء؛ ثم هي لا تفهم الفرد إلا بالأمة، ولا العلم إلا بالتطبيق، ولا العمل إلا بالتجويد، ولا رياضة العقل إلا برياضة البدن، ولا غاية الآخرة إلا بطريق الدنيا. وكل ما يصدر عن الجرمانية من نتاج الفكر واليد موسوم بسمات القوة والدقة والجد

***

ماذا عسى أن نصنع يا زعماء الشرق العربي وهذه اللاتينية المتخلفة المجفاة قد غلبت علينا لوجودنا على البحر الأبيض المتوسط، واتصالنا بشعوبها المختلفة في العمل والتجارة، واعتمادنا على رسلها الدينيين في التربية والتعليم، فأخذنا من أهلها حب الكلام وشهوة الجدل. فقادتُنا كتّاب ومحامون، وجيشنا هُتّاف ومتظاهرون، وعُدتنا أحزاب وصحف! وإذا لم يكن زعيمنا من ساغة الكلام وراضة المنابر انصرفت عنه الأسماع ونبت عليه النفوس ولو كان ملء سكوته العمل المثمر!

من صفات اللاتينية فينا أننا لا نزال نتعلم بالحفظ، ونتقدم بالمحاباة، ونعمل بالواسطة، ونقنع بالشكل، فلا يهمنا من النظام إلا أن يبقى مظهره وإن ذهب جوهره

ومن مظاهر اللاتينية فينا أنْ ضعف إيماننا بالمثل الأعلى والخير الأعم. فالأمة معناها: أنا أكون، والوطنية مغزاها: أنا أعيش. فإذا تناقضت منفعة الفرد ومنفعة الأمة، وتعارضت رغبة النفس وإرادة الوطن، وقع الضمير الاجتماعي في غشية ثقيلة لا يبالي المرء فيها أن يخون أو يسف أو يسقط

ومن بلايا اللاتينية فينا أننا نسرف في الوعود، ونتزيد في الحديث، ونداجي في النصيحة، ونكابر في الحق، ونماحك في النقاش، ونركن إلى شعبذة الحظ، ونستكين إلى معابثة القدر، ونستأمن إلى مخادعة السلامة

فإذا شئنا أن نتقي العواقب المحتومة لهذه التربية الفاشلة، فلنطهر قلوبنا من رواسبها المتراكمة، ولنهيئ نفوسنا لحياة جديدة تنكشف عنها هذه القيامة القاغة. فإن مما لا شك فيه أن الحياة الحاضرة بمذاهبها ونظمها تنصهر الآن في نار هذه الحرب لتصوغها يد الخالق المصور صياغة أخرى تتفق مع تقدم الإنسانية في سبيل الخير المحض والكمال المطلق؛ ومتى خلصت العقول من الهوى، وبرئت النفوس من الأثرة، وطهرت القلوب من الحقد، عاد الناس إلى شريعة الحق الخالد فيلتقي الشرق والغرب، ويأتلف الأحمر والأسود، وتطمع الأمم والشعوب أن يعيشوا في عالم من الإخاء والرخاء جديد. وهل ذلك على الله ببعيد؟

احمد حسن الزيات

وقد عرف المصريون قيمة الشيخ محمد عبده بعد الموت ، فكيف يجهلون قيمة الشيخ سيد المرصفي بعد الموت ؟

السباعي بيومي هو الذي أراد الإعلان عن نفسه بالقدح في الشيخ المرصفي ، فليدفع ثمن ذلك الإعلان بلا إمهال

ولكن كيف يدفع ذلك الثمن ؟

إلى رجال الأدب العربي أسوق الحديث :

أخرج السباعي كتاباً سماه « تهذيب الكامل » في جزأين أولها في المنثور وثانيهما في المنظوم ، ومعنى ذلك أنه قدّم وأخّر في نصوص الكامل ليقع المنثور في جانب والمنظوم في جانب .

فهل يرى القراء أن هذا عملٌ مطلوب ؟ وهل يرون أن المبرد كان يعزّ عليه أن يصنف كتابه على هذا الوضع لو أراد ؟

المبرد راوحَ بين المنثور والمنظوم لحكمة تعليمية ، هي نقل الذهن من فنّ إلى فنّ ليبعد عنه السآمة والملال ، وقد أضاع السباعي تلك الحكمة التعليمية بصنيعه « الجميل »

والفرق بين الكامل وتهذيب الكامل هو الفرق بين روح المبرد وروح السباعي ، فأنت حين تقرأ الكامل تواجه روحاً لطيفاً هو روح أبي العباس — طيب الله ثراه — وقد كان مثلاً رائعاً في صباحة الوجه ولطافة الروح ، وحين تقرأ تهذيب الكامل تواجه روح السباعي بيومي ، وهو روح السباعي بيومي بلا نزاع ولا جدال !

ومهما يكن من شيء فقد استطاع السباعي أن يطارد المرصفي ، المرصفي شارح الكامل ، المرصفي الذي أقام البراهين على أن مصر وُجِد فيها رجلٌ يساول المبرد ، ويمشي إليه مَشْيَ البازل إلى البازل في شراسة وكبرياء

استطاع السباعي أن يحرّم على شرح المرصفي دخول « دار العلوم » ليجهل طلبة تلك « الدار » أسرار كتاب الكامل ، وليجهلوا مبلغ أستاذهم السباعي من « العلم » بما وقع في « الكامل » من تحريف وتصحيف

أنا أعرف أن دار العلوم مدرسة عالية لا يزورها أحدٌ من المفتشين ، إلا إن ظمئ إلى فنجان من القهوة يحتسيه في مكتب العميد أو مكتب الوكيل ، وإذاً فمن العسير أن تسنح الفرصة لمحاسبة الأستاذ السباعي بيومي على ما يصنع في تكوين الطلبة بتلك الدار ، وهم الجيل المقبل من رجال التربية والتعليم

أعرف ذلك ، وأعرف أن الذوق نهاني عن زيارة دروس الأستاذ السباعي بالجامعة الأمريكية ، وأنا عن تفتيشها مسئول ، لأنه لا يجوز ذوقاً أن أفتش على مدرس رأته وزارة المعارف صالحاً للمشاركة في إعداد المدرسين

ولكن يظهر أن الأستاذ السباعي محتاج إلى من يعاونه على إعداد دروسه بدار العلوم ، فقد رأيت أنه لم يفطن إلى ما في كتاب « تهذيب الكامل » من تصحيف وتحريف قضى بهما انتقال « الكامل » من يد إلى يد ومن بلد إلى بلد على اختلاف الأجيال !

يضاف إلى ذلك أن كتاب « تهذيب الكامل » تسرّب إلى « كلية اللغة العربية » وقد يتسرب إلى « كلية الآداب » بحجة أن الدكتور طه حسين قرّنه بكتاب « مدامع العشاق » في أحد فصول « حديث الأربعاء »

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص على الأغلاط التي عجز عن إدراكها ذهن السباعي ، وفطن لها عقل المرصفي ، وهي أغلاطٌ ستؤذي السباعي أعنف الإيذاء ، لأنها ستقنعه بأن ثناء الدكتور طه حسين على صنيعه في كتاب خدمة الكامل لن ينجيه من عذاب النقد الأدبي ، وهو عذابٌ أليم

سأقوم بهذا الواجب خدمة لأبناء دار العلوم وخدمة لجميع طلاب الأدب العربي ، وعلى الأستاذ السباعي أن يناقشني إن استطاع ، وهو لن يستطيع ، ولو ظاهره ألوف من المعجبين بقدرته على الاستهانة بفضائل التدقيق والتحقيق

والأستاذ السباعي قد شتمني بمجلة الرسالة مرتين ، فليكف عن شتمي — غير مأمور — فإن الألسنة والأقلام لم تُبق في شتمي مزيداً لمستزيد ، ولو حاسبَ الله أعدائي وخصومي على ما اجترحوا آثمين في إيذائي لسلط عليهم شآبيب البلاء

لا تشتمني ، يا سيد سباعي ، فحسبي ما أعاني من البلوى بمحنة النقد الأدبي . ألا تراني أحاور أناساً لا أرتضيهم نُسّاخاً لمقالاتي ومؤلفاتي ؟

لقد لامني الناصحون على ما اقترفت من التنازل إلى مساجلة بعض الناس ، فهل تعرف كيف كان جوابي ؟

لقد أجبت بأن الأدب كالعلم ، والعالم يشرّح جسم الضفدعة كما يشرّح جسم الإنسان ، فمن واجب الأديب أن يفهم أنْ لا عيب في أن يهتم بتشريح ما يضاف إلى الأدب ولو صدر عن نكرات

قولهم « الناس الناس » أى الناس كما كنت تعهدهم

وتعقيب المبرد سديد ، ولكن الأستاذ السباعى ينقل فى الهامش أن من هذا قول الله عز وجل : « فغشيهم من اليم ما غشيهم » بدون أن يدرك أن الأخفش الذى نقل عنه قد أخطأ الفهم ، فالآية ليست مما اتحد فيه المبتدأ والخبر لفظاً ، وإنما هو موصول أسند إليه فعل جُعل مثله صلة ، للمبالغة فى التهويل (رغبة الآمل ج ١ ص ١٥٥) . وكان المأمول أن لا تغيب هذه المسألة البسيطة عن ذهن أستاذ بدار العلوم

٥ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٣٠٩ تكلم المبرد عن الخيل المحبوكة الأصلاب فقال : « المحبوك الذى فيه طرائق ، يقال لطرائق الماء حُبك واحدُها حِباك » . وبهذا سها المبرد سهواً لم يفطن له السباعى ، فقد فسر الكلمة بما لا يراد منها فى تركيبها ، والصواب أن يقول : فالمحبوك الذى أحكم خلقه ، من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه ، يريد أن أصلاب الخيل موثقة مدمجة . ثم يقول : والمحبوك أيضاً الذى فيه طرائق (رغبة الآمل ج ١ ص ١٦١) وهو كتاب المرصفى المحكوم عليه بالغرور والادعاء !!

٦ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٢١٢ ، أنشد المبرد قول حاتم الطائى :

إن الكريم من تلفّت حوله وإن اللئيم دائم الطرف أقودُ

وقد غيّر المبرد لفظ البيت وروايته ، بدون أن يتنبه السباعى لذلك ، والصواب :

فنهم جوادٌ قد تلفّت حوله ومنهم لئيم دائم الطرف أقود

لأن حاتماً يقول قبل هذا البيت :

كذاك أمور الناس راض دنية وسام إلى فرع العلا متورد

« راجع رغبة الآمل ج ١ ص ١٧٧ »

٧ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٣١٢ ورد قول الأشهب ابن رُمَيْلة :

أسود شرى لاقت أسود خفية تساقوا على حرد دماء الأساود

وقد تفضل الأستاذ السباعى فأثبت فى الهامش أن رميلة هى أم الشاعر ، ولم يتعب الأستاذ فى هذا التحقيق ، فقد نقله عما أضاف أبو الحسن إلى متن الكامل ، فكيف يجيب لو سأله أحد طلبة دار العلوم عن أبى هذا الشاعر وهو قد عرف أمه وجهل أباه ؟

الجواب عند الشيخ المرصفى « المغرور » فقد جاء فى رغبة الآمل ج ١ ص ١٧٩ أن أبا هـذا الشاعر هو ثور بن أبى حارثة ابن عبد الدار

٨ — وفى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٩٢ ورد قول ابن الإطنابة

وإجشائى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المُشيح

وسكت السباعى عن « الإطنابة » فلم نعرف أهو اسم أمّ الشاعر أم اسم أبيه ، وإنما سكت السباعى لأنه لم يجد ما ينقله عن أبى الحسن ، فليعرف إن شاء أن الإطنابة هى أم الشاعر ، أما أبوه فهو عامر بن زيد مناة أحد أشراف الخزرج « رغبة الآمل ج ٢ ص ٢٣ »

٩ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٣١٥ قال رجل من بنى عبس يخاطب عروة بن الورد :

لا تشتمنّى يا ابن ورد فإننى تعود على مالى الحقوق العوائد

ومن يُؤثر الحق النؤوب تكن به خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وإنى امرؤ عافى إنائى شِركةٌ وأنت امرؤ عافى إنائك واحد

أقسّم جسمى فى جسوم كثيرة وأحسو قَراح الماء والماء بارد

والسياق الذى أورده الأخفش وغفل عنه السباعى يوهم أن الأبيات الأربعة من شعر ذلك العبسى ، والصواب أن العبسى لم يقل غير البيتين الأولين ، أما البيتان الأخيران فهما جواب عروة بن الورد ، وقد نقل الشيخ المرصفى (ج ١ ص ١٩٥) أن عبد الملك بن مروان كان يحفظ لعروة الأبيات الأخيرة ، وثانيها هذا البيت :

أتهزأ منى أنْ سمنتَ وأن ترى بجسمى شحوب الحق والحق جاهدُ

فإن ارتاب الأستاذ السباعى فى تصحيح الشيخ المرصفى فليرجع إلى ديوان الحماسة فى باب الأضياف والمديح ليرى هـذه الأبيات الأخيرة منسوبة إلى عروة بن الورد ، والمفهوم أن ديوان الحماسة مما يحفظه الطلبة بمدرسة دار العلوم !

ثم أما بعد ، فهذا هو المنهاج الذى سنسلكه فى بيان فضل المرصفى على السباعى وعلى جميع من يقرأون الكامل للمبرد ، وسنرى فيا بعد غرائب وأعاجيب من غفلة السباعى عن فهم أغراض المبرد ، فكيف ترونه يصنع ؟ هل يصرّ على القول بأن المرصفى كان رجلاً مغروراً ، وأن من الجريمة أن يدخل كتابه « دار العلوم » ليخلو الجوّ لمن تفوتهم البسائط من الأغلاط ؟

إلى الدكتور زكي مبارك

# خصومة أدبيـــــة

## للأســـتاذ السباعي بيومي

معذرة يا صديقي الدكتور ، فقد حملني ما ظهر في كلمتك السالفة من مخالفة الرفق الذي تطلبه قولا وتنبذه عملا أن أقسو عليك في عبارة هذه الكلمة بعض القسوة ، ولدينا مزيد . . .

### كلمتي الثـــانية

#### أينا الذي نهب وادعى ؟

وجه إليَّ صديقي الدكتور زكي مبارك كلمة بعدد « الرسالة » رقم ٣٩٦ كان مما ذكره فيها قوله :

« وقد زعم الأستاذ السباعي أن الشيخ المرصفي سرق بعض أفكاره ، فليستعد للدفاع عن النظرية التي نهبها نهباً من كتاب « النثر الفني » ونشرها في مجلة السراج »

فهالني من صديقي أن يهفو تلك الهفوة ، بل أن يسقط تلك السقطة ، لأنه بنى هذا الزعم الفاسد على شيء سطحي ظاهري لا يأخذ به محقق ولا يغتر فيه باحث ، ذلكم هو أنه رأى تاريخ العدد الذي نشرت فيه تلك النظرية بمجلة السراج ، لاحقاً لتاريخ نشر كتابه المذكور — ناسياً أنها ثابتة لي قبل تاريخ هذا النشر بزمن طويل — فادعى أني نهبت وسرقت ؛ وهأنذا باسط هذه المسألة للقارئين بسطاً يجعلهم يوقنون أن صديقي هو الذي نهب وسرق ؛ ثم أبى إلا أن يصحب ذلك بجاه عريض من الادعاء والتطاول على رجالات الأدب قدماء ومحدثين ، وإلى حضراتهم البيان :

قال الدكتور في كتابه « النثر الفني » من كلامه على نشأة المقامات : « وكان المعروف أن بديع الزمان الهمذاني هو أول من أنشأ المقامات ، ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان » ؛ ثم قال : « وقد وصلت إلى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ ، وإلى القارئ النص الذي اعتمدت عليه في تحرير هذه المسألة » ؛ وهنا ساق النص الآتي :

«قال أبو إسحاق الحصري حين عرض لكلام بديع الزمان:

— كلامه غض المكاسر، أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً ؛ ولما رأى أبا محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض عجمية وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الأسماع ، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب متصرفة ، عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية ، تذوب ظرفاً وتقطر حسناً ؛ ولا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى ، وعطف مساجلتها ووقف مناقلتها بين رجلين ، سمى أحدهما عيسى ابن هشام، والآخر أبا الفتح الأسكندري ؛ وجعلهما يتهاديان الدر ويتنافثان السحر ، في معان تضحك الحزين وتحرك الرصين ، يتطلع منها كل طريفة ، ويوقف فيها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ، وخص أحدهما بالرواية » . إنتهى النص

وأنا أؤكد لحضرات القارئين أن قول الدكتور « وكان المعروف أن بديع الزمان الهمذاني هو أول من أنشأ المقامات » لم يكن المعروف وإنما كان المنكر الذي ينكره التاريخ ويبرأ منه

---

لقد أنذرني الأستاذ السباعي ، فهل يجيب عن هذه المؤاخذات قبل أن ينفذ ذلك الإنذار الفظيع ؟

المهمّ هو أن ينظر أبناء دار العلوم في هذه المؤاخذات الموجّهة برفق إلى نسخة « تهذيب الكامل » لا إلى الأستاذ السباعي ، فما أجرؤ على الهجوم عليه ، وهو أديبٌ يراني ويرى أستاذي من المغرورين المجترئين !

المهمّ هو الصدق في خدمة اللغة العربية ، وأنا بهذه الدراسات أخدم لغة العرب خدمةً يعجز عنها السباعي بيومي . وإن طال الشوط وسيطول فسيندم السباعي على ما اجترح من ستر جنايته على المبرد بجنايته على المرصفي

إن قلبي ليكتحل بالغُبار الذي يثيره قلمي ، فمن طاب له أن يلقاني في ميدان النقد الأدبي فليوطّن نفسه على مكاره لا يصبر على لأوائها غير الخناذيذ

وإلى اللقاء ، فللحديث شجون وشجون

زكي مبارك

الأدب قديماً وحديثاً ، وإنما هي مقدمة ساقها الدكتور باطلة ليبني عليها تلك النظرية التي طنطن بهما وعج . وليسمح لي صديقي أن أعيد على مسمعه ما سبق أن رميته به من قلة الاطلاع ، فإن ذلك النص التاريخي لم يكن هو الذي كشف عنه . وكيف وقد كان نصاً معروفاً متداولاً نقله كثير من الأقدمين تدليلاً على أن البديع لم يكن المنشىء الأول للمقامات ، كابن خلكان وياقوت في كتابيهما وفيات الأعيان ومعجم الأدباء، وكالشريشي في شرحه لمقامات الحريري . ولولا ضيق ( الرسالة ) في هذي الظروف لنقلت نصوص هؤلاء الأعلام ، ثم لذكرت غيرهم وأتيت على نصوصهم، في سبيل نقض هذه الدعوى التي ادعاها الدكتور، تلك التي أخجل أن أسميها دعوى بالمعنى المعروف لأنها ظاهرة الفساد والبطلان ، وليس للخصومة بشأنها أي مجال ، ولكن صديقي حين صادفه هذا النص وهو يقوم بما يقوم به في زهر الآداب ـ بتكليف من طابعه الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية ولولاه ما كان عثر ـ اعتقد أنه عثر على ما لم يعثر عليه إنسان، وأنه بهذا الكشف عن ذلك الكنز : كنز توت عنخ أمون، قد أصبح فارس ميدان أو فارس الميدان ، وإذن فليجل وليصل وليمش في الأرض مرحاً حتى يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولاً ؛ ثم ليستمع الناس له مرغمين ساكتين وهو يقول بعد القول الذي فندناه : « ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان إلى هذا الفن ، وإنما رأيت من يعلل سبقه بنزعته الفارسية » جاهلاً أن رجال النقد يأبون عليه ذلك إن كان قد عرفهم ؛ فإن تلك النظرية التي يزعم كشفها بيده وتقديمها للأدباء مخترعة ببحثه ، معروفة للأدباء الحديثين ، ومدروسة منهم للمتأدبين . وها نحن أولاء أبناء دار العلوم فتحنا عيوننا أول ما درسنا الأدب بتلك الدار على هـذه النظرية المزعوم كشفها وتلقيناها على أيدي أساتذتنا في العُشر الأول من هذا القرن الذي أوشك أن ينتصف ، أي منذ أربعين من السنوات

هذه هي الحقيقة ناصعة، ولكن ليس لي أن أتركها من غير دليل أقدمه لصديقي الدكتور ، بعد الذي قدمه عن نفسه من أنه لا ثقة للناس في اطلاعه ولا علم لهم باتساع أفقه ، وإذن فليتلق هذا الدليل من إحدى مذكرات المرحوم الشيخ أحمد الإسكندري ، فقد كان يدرس تلك النظرية لطلبة دار العلوم قبل أن يكون الدكتور شيئاً . قال رحمه الله في الصفحة ٣١٠ من مذكرة مطبوعة في الأدب العباسي لطلاب السنة المكتبية ١٩٢٩ — ١٩٣٠ طبعة أخيرة ، وهو يتكلم على المقامات في ترجمة البديع ما نصه : « وكان ممن أعجبته هذه الطريقة ـ يعني طريقة المقامات ـ ابن دريد ، فأراد أن يلقن نابتة زمانه اللغة والأدب في هذا النوع من الكلام . قال أبو إسحاق الحصري في كتابه ( زهر الآداب ) : وقد ذكر أبا الفضل الهمذاني بديع الزمان ـ وهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، كلام غض المكاسر، أنيق الجواهر » إلى آخر هذا النص الذي ادعى كشفه الدكتور ثم نقله في نثره معجباً به أيما إعجاب

أصدقت إذن يا صديقي أنك كنت في قولك : « ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان إلى هذا الفن » أجرأ منك في قولك السابق : « وكان المعروف أن بديع الزمان هو أول من أنشأ المقامات »

صدق صدق يا دكتور ثم اخل إلى نفسك واحسب عدد من درسوا في دار العلوم على هذا العالم الجليل حقبة تقرب من ثلث القرن ؛ وما كان متوسط عدد كل فرقة على سنيه ينقص عن الستين ؛ فإذا ما حسبت علمت أن من يعرفون تلك النظرية من خريجي دار العلوم وحدهم ، فما بالك بغيرهم ، يناهزون الألفين بل يزيدون . ثم اذكر يا صديقي أن هؤلاء الخريجين يدرسون ذلك لتلاميذهم في مختلفات المدارس ، وفيهم من درسوها لطلاب دار العلوم وطلاب كلية اللغة العربية ؛ ودونوا هذا في مذكراتهم مفصلاً مبسوطاً ، قبل أن تدونه أنت في كتابك موسوماً بسمة الاختراع ؛ وأنا أحد من فعل ذلك لطلابي في المعهدين المذكورين منذ أن بدأت دراسة الأدب فيها سنة ٣٢ — ٣٣ وكتابك لم يطبع إلا سنة ٣٤ ؛ وكذلك فعل زميلي وابن دار العلوم الأستاذ محمود مصطفى في كلية اللغة العربية التي لا يزال فيها إلى الآن

الحق يا صديقي أنك كنت جريئاً إن صح أن يسمى جراءة هذا الادعاء ؛ والحق أن الخجل كان قد رفع حينما زهوت بهذا الكشف المزعوم زهو الطاووس ، فقلت إنك حين أطلعت عليه المسيو مرسيه بباريس دهش وعجب كيف اتفق الناس مع هذا

على أن بديع الزمان هو منشئ فن المقامات ، وأنه أتحفك بهذه العبارة يقولها لك من باب الإطراء وهي : « يظهر أنه ضاع علينا من تاريخ الأدب العربي شيء كثير » ؛ ثم زدت في الزهو فنسبت إلى الدكتور طه حسين من العجب والدهش مثل ما نسبت إلى المسيو مرسيه ، وأنه جال معك في حديث ألهمه إياه نبأ هذا الاختراع ، ولم يك باقياً عليك إلا أن تذيع أخبار هذا الكشف على تيارات البرق وموجات الأثير

والآن ، أفما كان الأجدر والأولى بالأستاذ الإسكندري وأمثاله من المحدثين الذين سبقوا إلى هذا الكشف بسنين أن يدعوه لأنفسهم إن كان هناك اختراع ؟ ولكن حاشا لهم وهم ممن يحترمون الحقيقة ولا يتغفلون السواد أن يدعوا دعواك . وأما كان لي أن أرميك — إذ رميتني بالسرقة والنهب — أنك أنت الذي على افتريت ومني نهبت ؟ ولكن حاشا ونحن كأساتذتنا نحترم الحقائق ولا نتغفل السواد ، أن نفعل ما فعلت ؛ فإنما الأمر مفهوم معروف ، وأنت فيه المتأخر المسبوق . والذي لا شك فيه بعد هذا البيان أنك كذبت على القدماء ، واغتصبت جهود المحدثين ، ثم لم تتسلل لواذاً ولم تخلص نجياً كما يفعل السارقون ، ولكن أبيت إلا أن تهلل وتكبر ، وتتعالى وتتجبر ، ثم تغالي في الزهو بنفسك ، واجتذاب الإعجاب بك من غيرك ، وإذا بالحق يصرعك وينتقم للأدب والجماهير منك ... وإني أستحلفك بالله يا صديقي صادقاً ، كيف وصفت نفسك إزاء ما سميتها نظرية وهي من البدهيات بما وصفت ؟ أكان ذلك عن جهل منك إلى هذا الحد ، أم هو تغرير وادعاء ليس من بعده بعد ؟

وبعد فقد آن لي أن أكر راجعاً على كلمتك التي رميتني فيها بالسرقة منك بعد أن قبضت عليك متلبساً بالسرقة التي ادعيت ، فأعلق على باقي ما ذكرت فيها بعبارات خاطفة ؛ إن شئت بسطت كل عبارة منها في مقال كالذي سمعت :

١ — جعلت عنوان كلمتك « الهجوم الآثم على الشيخ سيد المرصفي » وهذا أمر غبت عنه ولم تشهده فكيف أقدمت عليه قبل أن يتجلى لك ؟ وإذا سوغك تطاولك أن تسميه هجوماً فكيف وصفته متسرعاً بالآثم فكنت الآثم بما وصفت ؟

٢ — تزعم أن الخطابات قد كثرت عليك في تحقيق ما ادعيته علي في حق الشيخ المرصفي ، وأنا أجزم قاطعاً ، وأحلف غير حانث ، أنه لا خطابات ؛ وإذا كانت فإنها لا تعدو ركب النميري الذي قال فيه :

ولما رأت ركب النميري أعرضت — وكن من أن يلقينه حذرات

فلما سئل فيم كنت ؟ قال والله إن كنت إلا على حمار هزيل ولي رفيق على أتان مثله

٣ — تقول : « وكنت — أي لولا تلك الخطابات — أغفلت هذا الموضوع عن عمد ، لأن الأستاذ السباعي له علي حقوق » وما كنت أفهم إلا أن تلك الحقوق إنما هي حقوق الصداقة ، فإني لا زلت بها حفياً وعليها حريصاً ، ولكنك جعلتها يا صديقي : « أنني كنت دائماً من أنصارك » وليس لمثلي أن ينخدع بخدعة الصبي هذه تسوقها إليه ، فالحقيقة المرة التي أسمعك إياها الآن بعد أن طغيت زماناً ولم ترد ، أنك ما كنت في يوم زعيماً في الأدب حتى يصح أن يكون لك أنصار ، وإنما زعامتك نسج عنكبوت حاكه من حولك ، وتركك الناس تلهو به وتلعب ، ثم زدت هذه العلة أخرى تقول فيها : « ولأن مقام الشيخ المرصفي أقوى من أن يهدم بكلمة جارحة تساق إليه في إحدى المحاضرات » . وإني أحذرك جريئاً على تحذيرك إن كنت تريدها خصومة أدبية بيني وبينك أن تترك الآن الشيخ المرصفي ، فإن التحكك به لن يغني عنك في الموضوع شيئاً ؛ وإذا ما صفى الحساب بيننا عدت أبين لك أن مكانة الشيخ المرصفي لا تعلو على النقد ؛ وأن الذي يصفه ببعض ما وصف به المبرد لا يكون قد عدا الحقيقة ، ولا تعدى على السلف الصالح ، فإن المبرد على أية حال أعلم من المرصفي علماً ، وآدب منه أدباً ، ثم هو أدخل منه في السلفية الصالحة دخولاً يقوم شاهداً عليه عدد وافر من القرون

٤ — ورابعاً تقول : « ولكن سكوت الأزهريين عن الانتصار للشيخ المرصفي أزعجني وكنت أرجو أن يكونوا درعاً واقية لذلك الشيخ الجليل وهو رجل لم ير مثله الأزهر منذ أجيال طوال » . وأنا أصدقك القول يا صديقي بغض النظر عن نصيب هذا التفضيل الذي أسبغته على الشيخ من الحقيقة والواقع ، بأن عبارتك هذه من باب الاستجداء الذليل والملق الرخيص الذي ينقص منك ولا يزيد فيك ، فقد فاتك أن الأزهريين يقدسون حرية البحث في دراساتهم أول ما يقدسون ، وأنهم يرون المبرد

قبل أن يرثوا المرصفي ، وأن ديدنهم في ماضيهم وحاضرهم يأبى عليهم إجابتك إلى ما تطلب ، لما يحسونه في طلبتك من غرض وهوى ، ولأنه إذا كانت هناك حقيقة اعتدي عليها كان من شأن هذا الاعتداء أن يحفزهم على نصرتها من دون صراخ لك فيها ولا استعداء منك بشأنها .

٥ — وخامساً تعتبر مضايقتي بلاء لصداقتي ، والسكوت عن المرصفي بلاء لأستاذيته ، ثم تخرج من هذه الحيرة بنقل القضية من وضع إلى وضع ، لتصيرها أدبية بعد أن كانت شخصية ، ثم تعلن عن هذه الخصومة فإذا هي أمران ، أحدهما زعمك أني زعمت الشيخ المرصفي قد سرق بعض أفكاري ، وإهابتك بي أن أستعد للدفاع عن النظرية التي نهبتها من كتابك النثر الفني ونشرتها في مجلة السراج ، والآخر أنني أستر جنايتي على المبرد بجنايتي على المرصفي ، وأنك ستعرفني أن تهذيبي للكامل لم يكن إلا جناية أدبية ، وأن التطاول على مقام الشيخ المرصفي لا يذهب بلا عقاب

ورأيي لك يا صديقي في الأمر الأول، أمر سرقتي من نترك إلى مجلة السراج قد سمعت فيه كلمتي الثانية هذه التي سقتها إليك بشأنه، واثقاً أن لك فيها دواء ناجعاً من الادعاء وشفاء شافياً من الغرور، وراجياً أن تكون أهلاً لتلقي هذه فيك

أما رأيي لك عن الأمر الثاني فقد أنبأتك آنفاً بأرجائه إلى ما بعد كلمتي هذه والسابقة ، لأنه موضع الخصومة وفيه سيكون النزال . وإني بهذه الخصومة لجد مسرور ، أتدري لماذا ؟ لأني سأعرضك فيها للجمهور على حقيقتك التي غشيتها ما غشيتها ، وتسامح الناس معك فيها ما تسامحوا . وسيكون أول كشف لك فيا عملت ، واقعاً على زهر الآداب إن شاء الله ، لأنه دون سائر أعمالك أشبه بما عملت في تهذيب الكامل الذي عددته جناية أدبية ، حتى إذا ما أخرجتك بمقالاتي فيه ، معترفاً لي ببراءتي من هذه الجناية ، ومعترفاً على نفسك بإجرامك على الزهر وصاحبه وعلى الأدب ، انبريت إلى تصانيفك — التي لا شبه لها عندي إلا أفراخ البغاث كثرة عدد وقلة غناء — أرد ما ليس لك فيها وهو أكثرها إلى مآخذه ذاكراً ما أوقعت فيه من تحريف ، وأبين زيف ما هو من صنع يدك وهو القليل ، بما لا مخرج لك منه أمام الناس لا أمام نفسك

٦ — بقي قولك في نهاية كلمتك إنك تكره البغي على أصدقائك وإن أمرك معهم لم يكن إلا شبيهاً بأمر أكثم بن صيفي « إن قول الحق لم يدع لي صديقاً » وما كان أكثم لك بشبيه ، فإن الذي لم يدع لك صديقاً إنما هو دأبك على الباطل في كثير مما تبحث ، وبغيك على حق الصديق في جل ما تنقد ، حتى لقد أمللت ومللت . ولقد حدثتني نفسي أن أكون فيما بغيت عليّ عاملاً بالآية ( ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ) كما فعل كثير ، ولكني رأيت في بعض وجوه الحزم — وأنت عالم بالوجه الذي رأيت — أن أحيد في معاملتك عن تلك الآية السمحة إلى هذه الآية العادلة ( ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ) وحقاً لا تثريب عليّ ولا سبيل ( إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم )

وإليك يا صديقي سلامي حتى ألقاك في مقالي المقبل بالدفع المنيف لما كتبت في العدد الماضي مصحوباً بالهجوم الأعنف على ما صنعت بزهر الآداب

السباعي بيومي

# في العقـــد

## لأستاذ جليـــل

### — ١ —

طالعت الجزء الأول من كتاب العقد الذى أظهرته فى هذا الوقت لجنة التأليف والترجمة والنشر، أو دولة العلم والأدب والفضل فى مصر، وضبطه العلماء الأجلاء : الأستاذ الكبير أحمد أمين ، والأستاذ الفاضل أحمد الزين، والأستاذ الفاضل إبراهيم الإبيارى، فرأيت فى هذه الطبعة الرائعة تحقيقاً كثيراً ، وفضلاً فى الشروح والتعاليق كبيراً . وقد عثرت على أشياء فى هـذا الجزء فى أربع مئة[1] صفحة كنت أعاين ضعفها ( والله ) فى صفحة واحدة من تلك الطبعات القديمات الخبيثات[2] . ولا ريب فى أن أكثر الخطأ فى طبعة اللجنة إنما هو تطبيع ، وإن لم يرد فى جريدة الإصلاح ، وسأكتب فى هذا ( الإملاء ) معظم ما وجدت غير متبع ترتيب الأقوال فى صفحاتها .

***

١ — ص ( ١١٩ ) قال الشنفرى :

إذا حُملتْ رأسى وفى الرأس أكثرى ... وغـودر عنـد الملتقى ثَمَّ سـائرى

وجاء فى الحاشية : فى ١ : احتملت . وفى عيون الأخبار : هم ضربوا وفى البخلاء : إذا ضربوا

قلت : هذا البيت فى مقطوعة ( ثلاثة أبيات ) رويت فى العقد وفى ديوان الحماسة ، ورواية أبى تمام : ( إذا احتملوا ) ، وفى شرح التبريزى : (وروى إذا احتملت) ، واللفظة غير مشكولة . وإذا صحت هذه الرواية ، فالفعل مبنى لما سمى فاعله ، فيعود الضمير إلى ( أم عامر ) فى البيت قبله فى أول المقطوعة :

(١) لقد آن أن ندع الهزل فى الهجاء ، وأن نرسم ألفاظ العربية جادين ، فاكتب ( يا فتى ) أربع مئة أو خمس مئة بهذه الصورة كل لفظة على حدة دون نقصان فى ثلاث ولا زيادة فى مئة

جاء فى صبح الأعشى : أثير الدين أبو حيان : أكتب أنا مئة بغير ألف كما تكتب فئة لأن كتب مئة بالألف خارج عن القياس .

(٢) لم أقف على الطبعة التى أخبرنا بها فى ( الرسالة ٣٩٢ ص ٨ ) الأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان ؛ ولم نعلم بظهورها فى السوق

لا تقـبرونى إن قبرى محرم ... عليكم ولكن أبشرى أم عامر[1]

أو إلى شىء حذفه أبو تمـام ، فقد كان يختار من قصيدة طويلة بعض أبياتها . وضبط ( حملت ) بالبناء لما لم يسم فاعله مشكلة أى مشكلة ، بل مضيبة ... إذ يؤنث بها ( وطن النهى )[2] والرأس فى أقوالهم فى جميع أزمانهم مذكر . قال التاج : اجمعوا على أن الراس مذكر

ويلوح لى أن صاحب هذه الأبيات هو صائغ اللاميتين : لامية الشنفرى ولامية تأبط شرّاً ... فى الرثاء ، وأولها :

إن بالشعب الذى دون سلع ... لقتيـلاً دمه ما يُطَـل[3]

قال التبريزى : ( إنها لخلف الأحمر وهو الصحيح ) ؛ وقال أبو على فى أماليه : كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر واللغة ، وأشعر الناس على مذاهب العرب . حدثنى أبو بكر بن دريد أن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التى أولها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم ... فإنى إلى قوم سـوا كم لأميل

له ، وهى من المقدمات فى الحسن والفصاحة والطول ؛ فكان أقدر الناس على قافية

قلت : وأبو بكر بن دريد كان خير خلف ولمن سلف من الصواغين المزخرفين ، فصنع ما صنع ، وأمالى القالى ملآنة مما ابتدع

٢ — ص ( ٣٦١ ) ودخل أعشى ربيعة على عبد الملك ابن مروان ، وعن يمينه الوليد ، وعن يساره سليمان ، فقال له عبد الملك : ماذا بقى يا أبا المغـيرة ؟ قال : مضى ما مضى وبقى [ ما بقى ] وأنشأ يقول . ورويت مقطوعة بيتها الرابع هو هذا :

وإن فؤادى بين جنبى عالم ... بما أبصرت عينى وما سمعت أذنى

وجاء فى الحاشية : زيادة ( ما بقى ) يقتضيها السياق والذ فى ب : مضى وبقى

(١) فى البيت خذم . والرواية فى طبعة العقد ( فلا تدفنونى ) وقد ذكرت فى الحاشية الرواية الصحيحة فى الحماسة والأمالى

السيدة أم عامر . . . هى الضبع

(٢) ابن الأثير فى الفصل الخامس فى جوامع الكلم ، فما جاء من ذلك قول أبى تمام :

سبق المشيب إليه حتى ابتزه ... وطن النهى من مفرق وقذال

فقوله وطن النهى من الكلمات الجامعة ، وهي عبارة عن الرأس ، ولا يجاء بمثلها فى معناها مما يسد مسدها

(٣) قالوا : إن شاعر الجرمان الأعظم ( غوته ) نقل هذه القصيدة إلى الجرمانية وسماها نشيد الانتقام

قلت : جاء في شرح الحماسة للتبريزي : ... فقال له : يا أبا المغيرة ما بقي من شعرك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد بقي منه وذهب ، على أني الذي أقول ... الأبيات . وقوله : ذهب أي ذهب منه ، وهو قول حلو محكم . والبيت الرابع هذه روايته في الحماسة :

وإن فؤاداً بين جنبيّ عالم ... بما أبصرت عيني وما سمعت أذني

قال الإمام التبريزي : « نكّر فؤاداً لأنه باتصال قوله بين جنبيّ — اختص ، حتى علم أنه قلبه من بين القلوب » وقد ائتم المتنبي بهذا الشاعر في قوله :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ... ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلباً بين جنبيّ ما له ... مدى ينتهي بي في مراد أحده

وتنكير فؤاد الرّبي وقلب الكندي في هذا المقام — من لطف الكلام

٣ — (ص ٣٦٧) والدهر « أطرقُ مستتب »

وجاء في الحاشية : كذا ورد هذان اللفظان (أطرق مستتب) في الأصول والأغاني ( ج ١٨ ص ٧٤ طبعة بولاق ) ، وكذلك في النسخة الخطية ولم تتبين معناها

قلت : هذا القول من أمثالهم ، وقد رواه الميداني في (مجمع الأمثال) ، وقال في تفسيره : أي مطرق مغض منقاد . وفسره في مكان آخر بقوله : الطرق استرخاء وضعف في الركبتين[1] ، والاستتباب: الاستقامة : يريد أن الدهر تارة يعوج وتارة يستقيم

قلت وأطرق في التفسير الأول مبني من (أفعل) قال الرضي : وعند سيبويه هو قياس من باب أفعل مع كونه ذا زيادة ، ويؤيده كثرة السماع ، ويجوزه قلة التغيير لأنك تحذف منه الهمزة وترده إلى الثلاثي ، ثم تبني من أفعل التفضيل ، فتخلف همزة التفضيل همزة الأفعال ، وهو عند غيره سماعي مع كثرته

٤ — (ص ٣٦٧) فلا تجعل بيننا وبينك الأسدة

قلت : لا تجعلن بجنبك الأسدة . وهو من أمثالهم . قال الميداني في كتابه : هذا مثل يقع فيه التصحيف ، فقد روى بعض الناس : لا تحفلن بجنبك الأشد ، وتمحل له معنى يبعد

(1) في الركبة واليد يكون في الناس والأبل ، وقد طرق كفرح فهو أطرق وهي طرقاء ( التاج )

عن سَنن الصواب . وقد تمثل به أبو مسلم صاحب الدولة حين ورد عليه رؤبة بن العجاج ، وأنشد شعره[1] ثم قال له أبو مسلم : (إنك أتيتنا والأموال مشفوهة[2] ، والنوائب كثيرة ، ولك علينا معول ، وإلينا عودة ، وأنت لنا عاذر ، وقد أمرنا لك بشيء وهو وَتِح[3] . فلا تجعلن بجنبك الأسدة ، فإن الدهر أطرق مستتب) ؛ ثم دعا بكيس فيه ألف دينار فدفعه إليه . قال رؤبة : فو الله ما أدري[4] كيف أجيبه ... قال الجوهري : السد بالفتح واحد الأسدة ، وهي العيوب مثل العمي والصمم ، جمع على غير قياس ، وكان قياسه سدوداً ، ومنه قولهم : لا تجعلن بجنبك الأسدة ، أي لا يضيقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم أو بكم ...

قلت : كان أبو مسلم من كبار البلغاء الفصحاء . أورد الإمام الزمخشري في الكشاف قراءة له في تفسير الآية الكريمة : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ومن قُتِل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً ، فلا يسرفْ في القتل ، إنه كان منصوراً) فقال : (وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة : فلا يسرفُ بالرفع على أنه خبر في معنى الأمر ، وفيه مبالغة ليست في الأمر

وهذا الخبر في الكشاف يدلنا على مكانة أبي مسلم في العربية وقدره المعظم عند جار الله

ووصف المدائني أبا مسلم — كما نقل ابن خلكان — فقال : كان قصيراً أسمر ، جميلاً حلواً ، نقي البشرة ، أحور العين ، عريض الجبهة ، حسن اللحية وافرها ، طويل الشعر ، طويل الظهر ، قصير الساق والفخذ ، خافض الصوت ، فصيحاً بالعربية والفارسية ، حلو المنطق ، راوية للشعر ، عالماً بالأمور ، لم يُرَ ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته ، ولا يكاد يقطب في شيء من

(1) في العقد : فأنشدته :
ما زال يأتي الملك من أقطاره
وعن يمينه وعن يساره
مشمراً لا يصطلي بناره
حتى أقر الملك في قراره
قلت : في ديوانه : مشمر ، أي هو مشمر

(2) الأساس : وماء مشفوه كثرت عليه الواردة ، ومن المجاز : قول أبي مسلم لرؤبة : أتيتنا وأموالنا مشفوهة

(3) شيء وتح : قليل وتح بفتح الأول وسكون الثاني وفتحه وكسره

(4) يصور رؤبة تلك الحال

أحواله ، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور ، وتنزل به الحوادث الفادحة فلا يرى مكتئباً ، وإذا غضب لم يستفزه الغضب

وكان أبو مسلم ينشد فى كل وقت :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بنى مروان إذ حشدوا
ما زلت أسعى بجهدى فى دمارهم ... والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

***

١٤ ه ١٦

بين عامين

# سراب وأمـــل ...

## للأســتاذ شكرى فيصل

— ١ —

رجعت اليوم مبكراً إلى غرفتى المتواضعة فى الضاحية النائية ، فى موكب من الوحدة والصفاء والانطلاق ، فلم يعد يحلو لى أن أطوّف فى أرجاء المدينة ، أو أذرع شوارعها العابسة بعد أن لفّتها الظلمة ، وغيض منها النور ، وكرهت نفسى هذا الرداء الأسود ذا النجوم الزرقاء الكابية الذى يضفونه على جنباتها الزاهية ، فلم أجد إلا مصباحى وزاويتى ... أعوذ بهما من شر الظلام الحالك

جلست إلى جوار النافذة أرقب النهار المدبر . لقد تجهمت السماء ، وأخذت تودع ألقها الصافى ، وانتشرت فى أطرافها البراقع القاتمة كأنها نذر الليل الزاحف ... ولم يبق من الشمس إلا تلك الشعاعات الجريئة القوية التى أبت الهزيمة ، وكرهت الفرار ، فوهبت دمها القانى لهذا الطرف البعيد من الأفق كآخر ما تملك من فداء وتضحية !!

لشد ما يأسرنى الغروب ..! إنى لأجد له فى نفسى أجمل الوقع . أترى كان ذلك لأنه يذكرنى آمالى الغاربة التى بددتها الريح وابتلعها اليأس ؟

— ٢ —

كان كل ما فى الضاحية يتشح بالسكون ، ويغرق فى الصمت ، ويدعو إلى التأمل ... هذه الأرض الحلوة الطيبة تضم ذراريها التى تفتحت عنها من الخضرة الزاهية ، وتنام معها على هدهدة المساء ؛ وهذا النخيل القائم ، يرتكز إلى نفسه ، كأنما مَل هذا الانتصاب ؛ والشارع الطويل الممتد ، كأنما كان طريقاً فى صحراء لا يقطعه إنسان ، ولا تجوزه مركبة ، ولا تخترقه سيارة ؛ وهذه الخراف الصغيرة فى أرض الجارة العجوز قد اطمأنت إلى حظيرتها الناعمة ... لم يبق أحد أو شىء ... إلا أنا ... أنا وهذه الساعة التى لا تنى تتحدث وتتحدث .

— ٣ —

واستغرقت فى هـذا التأمل ، وأصغيت إلى هذا الحديث ، وأحسست له معنى جديداً . لقد كنت أستمع إليه فى الصباح وعند الظهيرة وفى المساء ، فلم يكن ليحظى بشىء من انتباهى إليه وإصغائى له ، ولـكنه يلقى إلىّ الآن معنى رهيباً أجد له فى نفسى ألواناً من الصدى ، وأنواعاً من التأثير ، ثم هو يقترن إلى هذه الشعاعات الأخيرة الذاهبة فى الفضاء فيكون معها شيئاً رائعاً ينفذ إلى أعماق ، ويستثير فيها الذكريات الجائمة التى احتضنها الألم وغشاها الحزن

أيظل الإنسان رهن هذه اللفتات النفسية التى تصرفه عن دنياه ، وتباعد بينه وبين أجوائه ، وتقذف به فى عوالم مواجة ، وتطيح به هنا وهناك ألعوبة فى يدها . يذكر كل شىء وينسى كل شىء ، ثم لا يخرج من هذا الذكر والنسيان بغير الابتسامة الفاترة أو النظرة القلقة أو الأمل المريض

وتثاءب السكون ، فسرت فى جسم الأرض نسمة هادئة اهتز معها العشب الأخضر ، وانثنت لها أغصان النخيل ورقص قرص الشمس المضطرب فى كبد الأفق وهو يغوص فى بحر اللانهاية

— ٤ —

فى هذه الساعة كانت تتمثل آخر معارك النور والظلمة على مشهد السكون . لقد ظلت هذه المعارك أياماً كثيرة ما أطولها ! لقد امتدت مع العام الراحل كله ، تسجل غدر الزمان وغلبة الشر وتظهر هذا الإنسان المتفائل على مكاره الحياة ومصاعب الدهر ، ولـكنه يأبى إلا أن يسرف فى التفاؤل ، ويُغرق فى الضحك ، ويرى الحياة بعينى طفل غرير

وأصغيت من جديد إلى حديث الساعة ، كما أصغى لوحى الحنين حين يهيج بى الشوق ، وعجبت لنفسى كيف تأخذ على هذه التمتمات الخافتة كل مشاعرى وانتباهى ، أكان ذلك لأنها نشرت لعينى

حديث الماضي ، وطوفت بي في ثنايا العام ، ووقفت بي عند هذه اللحظات من سنة خلت ، حين كنت أرقب مطلع الشمس من ضمير الأفق ومنبت البذور في مغرس الأمل ، وحياة النعيم في دنيا الشقاء ؟ أم كان ذلك لأنها تريدني أن أعب من هذا النور المرتجف قبل أن يخنقه الظلام ، وأتزود بهذه الحرارة قبل أن يودى بها العدم ، وأشهد ساعة الوداع قبل أن يطغى الليل ؟ !

سواء لدى الأمر فلقد أثرت أنينها الساعة القابعة في طرف الغرفة كل شجوني فاستفاقت على أنغامك المعذبة ذكرياتي الغافية كما تستفيق جماعة الطير على أنداء الفجر ، وتحركت نفسي الراكدة على نبراتك الساحرة كما تتحرك صفحة الماء في استقبال النسيم ، وأحسست حرارة الحياة حين خضت على هدى منك هذا الفضاء الذي أخلفه ورائي في العام الراحل

لقد كنت أتجنب أن أنظر إليه ، لأنه يرهبني أن أرى الزهرة الناضرة تذوى في الكهف المظلم ، والبرعم الحلو ينطفئ في رطوبة الفناء ، والشعلة المقدسة تخفت في مهب الريح العاتية

— ٥ —

في مثل هذه اللحظات من العام الماضي كنت اقتطفت هذه الزهرة من روضة الصبي فغرستها في أرض الحياة ، وسقيتها بماء الأمل ، وغذيتها بالأماني ، وانتظرت ثمرتها النضجة ... ولكن الحياة التي ألفت الغدر وعشقت الشر ، تريد أن تمنع عني الأريج وتحول بيني وبين الثمرة !

وفي مثل هذه اللحظات من العام الفائت ، حملت يداي المصباح الذي يستمد حرارته من دم القلب ، ونوره من شعاع العقل ، وطوّفت به أنشد الهدف وأرنو إلى الغاية ... ولكن السبيل ما تزال تملؤها العقبات ، وتعترضها الحواجز ، وأنا أمضي وأمضي ... ثم أجدني حيث كنت ... كأنما أدور حول محيط الدائرة دون أن أستطيع بلوغ مركزها ، والمصباح يرف رفيف الأمل المنكسر ، كأنما يظهرني على خفقات القلب الآيسة من هذا الطواف الممل ...

وفي مثل هذه اللحظات أيضاً مددت يدي إلى الحياة ، في نفسي السرور ، وعلى وجهي البشر ، وفي يميني الحق ... وانطلقت أصافحها ، تملأني الثقة ، ويزدهيني المستقبل ، ولم أفطن لهذا الغطاء الناعم الذي كان يكسو يدها ويريق عليها مظاهر الفضيلة ... ثم أدركت بعدُ أن القفاز يستر الشوك ، وأن الشوك ينطوي على السم ، وأن السم يكيد للحق ويخنق المستقبل

لقد أدركت الآن لماذا كان لدقات الساعة في هذه اللحظات مثل تلك الروعة وذاك الأثر ... لقد كانت توقع بنبراتها الهادئة رنين الأمل الهادي في قرارة اليأس ، وتمثل حشرجات الأماني في صدر الزمن ، وتبكي بنغمتها المؤثرة العام الراحل ... وكانت تستفزني أن أرفع بصري إلى السماء ، وأدير نظري في الكون لأشهد هذا الوداع . فما كنت أستطيع أن أرى شيئاً ، فقد اختلط عليّ الأمل واليأس ، كما يختلط قتام الليل بوضح النهار ، وتساوى عندي الأمس واليوم ، كما تساوى الماضي والمستقبل في عمر الدهر ، وأحسست في نفسي فراغاً كبيراً ممتلئاً بكل شيء ويتسع لكل شيء ... يتجاوب فيه كل صدى ، وترن فيه كل نغمة ... ثم تضيع فيه هذه الأشياء والأنغام والأصداء ، كما تضيع هذه الأشعة في كهوف الأفق

— ٦ —

إني لأفتح عينيّ الآن فلا أرى شيئاً ، لقد امتزجت في أذني الأصوات المنبعثة عن حداء الزمن ، وضحك الأمل ، وصعقات العاصفة ، كما اختلطت في عينيّ الأنوار المنبعثة من جوف الماضي وغياهب الآتي ، وصفحات الحاضر ... فما تغريني دقات الساعة لأن الزمن لم يعد شيئاً في حياتي ، فقد أسفت للزمن ، وما تبكيني الشجون ، لأن اليقين قد طوى الألم ، وما ينتابني القلق ، لأن الإيمان يصرع الهواجس

سأقتطف الزهرة الجديدة من قلب الصبي الناعم ... وسأغرسها في رعاية الله وحنانه وبره ، وستمتد يدي من جديد لتصافح ملائكة السمو والمجد ، وسأحمل المصباح ، يستمد نوره من الإيمان واليقين ، وسأنشد الغاية رضى النفس ، وسأقطف الثمرة ، تباركها يد الله ، وأحقق الهدف يهدى إليه نور الله ...

في طرف الأفق ، كانت تُغيب الأرض غلالة النور ، وفي كبد الجو كانت تطلع السماء أنوار النجوم ، وتبعث شعاعاتها المهتزة على الأرض المكروبة ، تبشرها بالنور الطالع والفجر القريب ، وفي الحاشية البعيدة ، كان يرقص خط دائر من النور . لقد طلع الهلال ، وولد العام ، فماشت معه آمال ، وانتعشت أماني وضحكت نفوس

« القاهرة » شكري فيصل

---

حكم استئنافياً بتغريم فهمي حسانين سلامه التاجر بالنيل بالقضية ن ٩٦٧٤ بجلسة ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جنيهاً ونصف لبيعه عدسا بأزيد من التسعيرة .

# الفنون وضمائر الشعوب

للأستاذ سيد قطب

حين تفسد الفنون في أمة من الأمم تفسد فطرتها، والعكس صحيح، فما تفسد سليقة الأمة حتى تتبعها الفنون؛ ومن هنا كان اهتمامنا بمكافحة «الغناء المريض» لأننا نكره لهذا الشعب أن تفسد فطرته، كما نكره له أن يكون عنوان هذه الفطرة هو هذا الغناء

والموسيقى والغناء أمسّ بضمائر الشعوب من سائر الفنون، فقد يكون الأدب كما يكون النحت والتصوير لغة جماعة من خواص المثقفين الدربين على الإحساس والفهم، أما الموسيقى والغناء فهما لغة البداهة والتعبير المباشر عن أعماق السليقة

نعم إن الطبائع تتفاضل في فهم الموسيقى والغناء والحس بهما، ولكن يبقى مع ذلك فارق أصيل بين السلامة — وهي أولى درجات الفنون، والمرض — وهو لا يلتبس على طبيعة مستقيمة أو فطرة سليمة

ونحن لا نتطلب من الملحنين والمطربين اليوم سمواً في التعبير عن الفطرة الإنسانية ولا امتيازاً في الإحساس على الجماهير، ولكنا نقنع فقط بالسلامة في الشعور الإنساني، بل نتواضع فنقنع بالسلامة الحيوانية، غير أننا لا نجد حتى هـذا المطلب المتواضع فيما يذيعونه من أغنيات ولحون

ويبدو أننا مبالغون فيما نطلب من هؤلاء الناس، وأنه تكليف مجهد لطبائعهم ولثقافتهم ذلك التكليف الذي نسومهم إياه. وإذا كانت هناك بارقة من أمل فلن تكون في محاولة توجيههم أو تقويم فطرتهم أو رفع مستوى إحساسهم؛ فذلك ما لم يتهيئوا له، ولكن المحاولة يجب أن تتوجه إلى وخز طبيعة هـذه الأمة، فإن كان فيها خير عافت هذا الترجيع وانصرفت عن هذا الترنيم، وإلا فقد «وافق شن طبقة» وعفاء على الجميع!

ووجه المبالغة فيما نكلفه هؤلاء الناس أن الموسيقى والغناء مهما يكونا لغة الفطرة وتعبير البداهة، فهما في حاجة إلى طبائع سليمة، وتلك موهبة لا يؤتاها إلا القليلون وإن كانت تبدو حقاً مباحاً للجميع، وفي حاجة إلى ثقافة عقلية ونفسية كذلك وإلى فهم أو إدراك لدُنّي لمهمة الفنون، وتلك شقة بعيدة على نشأة هؤلاء القوم، وآفاق لم يفتحوا أعينهم عليها ولم يتطلعوا مرة واحدة إليها.

الفن — شعراً كان أم تصويراً أم غناء أم موسيقى ... — هو «صورة الكون في نفس إنسان» وهو «تبلور الحياة في حس فنان» فهل ترى حين تقول هذا الكلام من كان من المشتغلين بالموسيقى والغناء في مصر يحسبك تتحدث بلغة مفهومة أم يفغر فاه عجباً من هـذه اللغة الغريبة التي لم يسمع بها في لغة أبناء هذا الزمان ولم يحس لها تفسيراً في نفسه وهو يعالج ما يعالج من ألحان؟!

الموسيقى والتلحين، ها هذا الذي يدرسونه في معهد الموسيقى الشرقي من السلم الموسيقي والمسافات في النوتة والتوفيقات التوقيعية بين وزن القطعة التي بين يدي الملحن وبين النغمات التي تناسبها — أيا كان معنى هذه القطعة وجوها الفني فذلك آخر ما يفكر فيه الملحنون. فإن خرج (موسيقار مجدد) عن هذه الحدود، فإلى بعض الألحان الإفرنجية وبعض ألحان سيد درويش: سرقة واقتباساً وتمزيقاً وتشويهاً، وياليتها سرقة صريحة واضحة ولكنها «مرمطة» لهذه الألحان المسروقة حتى تلين وتتكسر وتتخلع وتناسب هذه الدغدغة الماجنة التي يدعونها تجديداً في التلحين

هذه وتلك آفاق المشتغلين بالموسيقى والغناء في مصر، فما تكون إذن «صور الكون في نفس إنسان وتبلور الحياة في حس فنان»؟ ما يكون هذا الكلام الذي يشبه المعميات والألغاز عند هذه النفوس الضعيفة الصغيرة، وهذه العقول المسكينة المحدودة؟!

بلغتني قصة طريفة عن مولد قطعة غنائية يتميع بها شبان البلد وشوابه في هذه الأيام، ولست متأكداً من صحة جميع تفصيلات هذه القصة ولكنها ليست بعيدة التصديق ولا متعارضة مع المعروف عن هؤلاء «الفنانين»!

قال مغني القطعة لمؤلفها: ما رأيك في «مايهونش» ألا ترى أنها تكون «مؤثرة»؟ قال المؤلف: تكون! . قال المغني: وحياة أبيك تضع لنا عليها «طقطوقة» ... فكان!

هذه قصة لا أجزم بصحة تفصيلاتها هي بالذات ولكنها تتفق مع ما أجزم به من طريقة تأليف القطوعات الغنائية وبواعثه وعن غناء. هذه القطع وأسبابه في نفوس المؤلفين والمطربين، فليست هذه البواعث أحاسيس نفسية تبعث بالقطعة في نفس مؤلفها ألفاظاً وأوزاناً وفي نفس مغنيها نغمات وألحاناً

فكيف يتأتى إذن لهذه الأغاني أن تكون شعوراً إنسانياً كريماً، أو شعوراً حيوانياً وتلك بواعث القول والغناء عند هؤلاء وهؤلاء!

ولكنني أغمط التأليف الغنائي حقه حين أسوي بين مستواه ومستوى التلحين والغناء في هذه الأيام ، فنحن إذا تجاوزنا عن المؤلفين المحترفين الذين يطنون كالذباب حول المطربين والمطربات نجد آخرين من كرام الشعراء ومشهوري الأدباء قدموا بعض مقطوعاتهم للغناء ، ولكنها خرجت من يدي الملحن جثثاً هامدة بعد إخضاعها للنغمات المحفوظة والترنيم الممجوج

ولو سارت خطوات الموسيقى والتلحين في مصر على هدى خطوات الشعر ، لكان لنا فن موسيقى محترم ، ولكننا شيئاً في رقعة العالم المريضة التي تموج بالفنون الحية ، بينما نحن منها في الرميم

ولا زلت أذكر أن مطربة كبيرة مشهورة ذات صوت فريد في جوهره مستعد لأداء كل النغمات ، كانت تغنى في مناسبة بهيجة قطعة تفيض ألفاظها غبطة ، ولكني كنت أتصورها هناك وراء « الميكرفون » وهي تعتصر دموعها اعتصاراً وتنوح نوح المفجّع المكلوم !

وإذا ذكرنا الأصوات فلنعترف مرة أخرى أن لدينا منها ثروة لم نحسن استغلالها بالتلحين ، كما لم نحسن استغلال ثروة التأليف ، فالتلحين هو علة العلل ، لأنه جوهر الإحساس الفني وموجّه الأصوات والأنغام ، وهو في أيدي هؤلاء الفارغين المشوهي الفطرة ، بل في يد هذا الحطام الآدمي الذي لا يقوى على إحساس الآدميين

وكل لفظ مؤدب عف لا يكفي لتصوير جريمة التلحين على بعض المطربات والمطربين ، وعلى سبيل المثال أذكر المطربة « أسمهان » ففي جوهر صوت هذه المطربة تعبير عن لذة الغريزة وفورة الجنس ، وهو في نظر المدمنين من التعبير السليم مثلنا مكسب كالكمكة في يد اليتيم ! لأن السلامة الحيوانية مطلب من المطالب البعيدة عنا في عالم الغناء ، ولكن التلحين المشوم لم ينتبه إلى هذه الخاصة في ذلك الصوت ، فما هي إلا أغنية أو أغنيتان تبدو فيهما حتى تتوارى وراء التلحين المريض الشائه والتكسرات المنشوشة التي ينفر منها حتى الحيوان السليم !

وبعد فما كان لنا أن نأمل شيئاً في محترفي الغناء والتلحين ، ولكن أملنا كله كما أسلفت في طبيعة هذه الأمة ، وفي ضمائر القلة القليلة التي « لم تشرب من النهر » أن يثيرها الاشمئزاز من كل ما ترجعه الأوتار والحناجر في هذه الأيام ، وأن تدفعها حوافز البشرية الحساسة ، فتقوم بالدعاية الواجبة في كل مجتمع وكل صحيفة ضد هذا الزيف الكريه

ولقد حمدت للأستاذ « عبد الحميد يونس » المذيع بمحطة الإذاعة برنامجه المختار « نصف ساعة من الموسيقى الغربية » وهممت أن أرسل إليه — على غير معرفة — رسالة شكر وإعجاب بحسن اختياره للاسطوانات التي أذاعها لولا أن صرفتني عن ذلك بعض الشاغل العارضة

وإني لأذكر ذلك اليوم علاجاً مضمون العاقبة للسامعين وجرعة منبهة إلى ما في الكون من تعبير رفيع عن المشاعر الإنسانية في الموسيقى العالية يجب تكراره وتكراره كل يوم ضمن برامج محطة الإذاعة لا بين الحين والحين

وإني لأخشى أن يكون وقف هذا البرنامج ثمرة لسعي بعض المشهورين بالغناء المريض ، فقد كان في بعضه كشف لمواضع سرقاته وفي بعضه عرض لمثل حية رفيعة تعاف النفوس بجوارها فهم الرخيص .

سيد قطب

دراسة شاعر

# جوفرى شوسر

للأستاذ أحمد الطاهر

إذا أنست لهذا الشاعر وتذوقت شعره ، فإنك واجد فيه صورة ناطقة لبلاد الإنجليز فى العصور الوسطى ، أو فى القرن الرابع عشر الميلادى . وأجل ما فى هذه الصورة أن « شوسر » يمثل بأسلوبه البارع — الذى وصفنا فى مقال سابق — نظرية اجتماعية أخلاقية ، تتلخص فى أن الغرائز الإنسانية باقية كما هى على مدى الدهر ، لا تتغير ولا تتحول ، وهى سواء فى الناس جميعاً ، وأما ما يكتنفها أو يخفيها من التخلق أو اكتساب العادات أو ما إلى ذلك ، فما هو إلا عرض لا يتصل بجوهرها . خذ مثلاً رجال الدين — كما أراد شوسر — أولئك الذين هاجمهم فى عنف وشدة، تر أنه لا يحفل بما يبالغ فيه بعضهم من إبداء النسك والتبتل والتظاهر بالتأبد والتنطس ، وإنما يعمد إلى المسوح السوداء فيرفع أسدالها ، وإلى المسابح فيقطع أوصالها ، ثم يبرز لك الرجل من وراء ذلك إنساناً ككل الناس : يأكل ويشرب ويلعب ويطرب ويضطرب فى كل شأن من شئون الحياة ، كما يضطرب سائر الناس . فينزع إلى الهدى والرشد أحياناً ، وإلى الغواية والمشوة أحياناً . والشاعر حين يتناولهم بقلمه ، لا يصدر عن ضغينة فى نفسه ، ولا عن ميل إلى التندر والتظرف ، ولا عن استخفاف بالدين . كلا ، بل لقد كان هو من أكثر الناس تديناً وإغراقاً فى الصلاح والتقوى . إنما هى أسباب أخرى لو سمعها اليوم « شوسر » لم يرض عنها ، أو لم يعترف بها : فعصره كان عصراً تغلى فيه مراجل الثورة النفسية ، يؤجج أوارها عناصر أربعة متنافرة متدابرة : الكنيسة والشعب والبرلمان والقصر .

ففى القصر إدوارد الثالث ثم ريشارد الثانى يرهقان الشعب بالجبايات والأتاوات ، ويسرفان فى التمكين للأشراف وأصحاب الضياع من إذلال الدهماء عبيدهم ومواليهم يبتزون جهودهم ويستغلون نشاطهم ، ولا أقول أموالهم فما كان للعبيد والموالى أموال ولا أملاك . والبرلمان يأنس فى الملك ضعفاً وخوراً فى حين من الأحيان ، وجبروتاً غاشماً فى حين آخر ، وطراءة فى الشباب فى عهد من العهود فيحفزه للنضال حقه المهضوم وسلطانه المكلوم وتغريه كثرته فيثور ثم يناوئ ثم يعتدى ثم يغالى . كل ذلك على حساب الشعب ؛ والشعب مرهق مغلول ضعيف مغلول يتلقى العذاب من ملك يرميه بالتمرد ويكديه بالجباية ، ومن أمير أو شريف يتهمه بالكسل ويرهقه بالعمل . والكنيسة يطيب لها أن تثبت وجودها بأن تتهم الناس بالكفر والضلال وتعزو سوء الحال إلى إسراف الملك فى سلطانه والحد من سلطانها فتصور الشعب فريسة أطماع الملك الضليل ، وتصور الملك مغلوباً على أمره من شعب مغرق فى الأباطيل ، وتستعدى الشعب على الملك والبرلمان يوماً ، وتستعدى البرلمان أو الملك على غيره يوماً آخر . وهكذا ألقيت بينهم العداوة والبغضاء وألبسوا شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض . تلك أمة قد خلت .

وهنا نتساءل أين موضع شاعرنا من هذا المعترك المصطخبة أمواجه المتلاطمة أفواجه ؟ كان من رجال القصر وسفرائهم ومن خدم الملك ، فليس عجيباً أن نراه من رجال الدين فى الموضع الذى رأيناه ؛ وليس غريباً أن نراه يصورهم بالصورة التى تنزعهم وإن تلطف أو داجى ، ولا يتعاظمنا أن ينظم قصة فيسلكهم فى صدرها ساخراً مقذعاً متندراً : قال :

فى عصر الملك الصالح أرثور كنت ترى بلادنا الإنجليزية مشرقة بالبشر رافلة فى حلل النعيم تمرح فى أرضها وغابها أميرات الجن تحوطهن صاحبات لهن من الخود الرعابيب ، فإذا أمسى المساء خطرن على مروج الزهر ، وإذا أصبح الصباح رأيت فى الأرض ما تناثر من عقود الزهر التى نظمنها فى حلقات رقصهن . وأما الآن فما بقى فى الأرض إلا شحاذو الكهان والرهبان نفروا كل مليحة من أميرات الجن ، وأفزعوا كل غضة من بنات الغاب ، وملئوا المكان بعد أن كان زاخراً بالأميرات . كان أحد فرسان ذلك الملك الصالح ممتطياً صهوة جواده وعلى وجهه سحابة من الحزن وغشاوة من الشجن فأفضى به التسيار إلى جانب من الغابة قد اتخذته أميرات الجن مرقصاً فركض إليهن جواده يلتمس عندهن شفاء من آلام نفسه وأوصاب صدره ، فما إن رأينه حتى

شردن وتوارين ولم تبق إلا عجوز شمطاء شوهاء قامت إليه وأخذت عليه السبيل ثم قالت: «أأكون في عونك أيها الفارس؟» قال: «نعم أيتها الجدة، وإن لم تفعلي لأكون من الهالكين» لقد سلفت مني بادرة لا تليق بالسادة الأشراف. أسأت إلى فتاة فحكمت عليّ الملكة بأن أقصى عن بلاطها سنة ثم أعود فأنبئها وفتياتها الغاضبات بجواب عن سؤال حيرني به ألا وهو «ما أحب شيء للمرأة؟» فإن أعجبهن جوابي كنت سعيداً موفقاً، وإن أخطأني التوفيق فهنالك هلاكي. ولقد تصرم يا جدتي العام بعد أن التمست الجواب عند الأمهات والزوجات والعانقات فما اتفقن على رأي ولا عرفن شيئاً واحداً هو أحب ما يحب النساء: قيل لي إن النساء يعجبهن الملق والمداجاة؛ وقيل لي أحب شيء إليهن الحب والهوى؛ وقيل بل الزواج وقيل المرح والطرب؛ وقيل التكريم والثناء، وقيل البذخ والثراء؛ وقيل غير هذا وأنا لا أزال حائراً مضطرباً. فهل عندك الجواب وعندي لك كل حاجة تريدين قضاءها وكل مطلب مجاب؟» قالت العجوز: «أتقسم أن لي عندك كل حاجة مقضية؟» قال: نعم. وأقسم بشرفه ليفين لها بما وعد: قالت: «هلم معي إلى القصر» وأفضت إليه في الطريق بالجواب.

فلما بلغا القصر عقدت الملكة مجلساً ومثل أمامها الفارس وقالت له: «حياتك رهن بالجواب عن هذا السؤال: أي شيء أحب إلى المرأة سواء أكانت عانساً أم بكراً أم زوجة» قال الفارس: «ليس أشهى إلى المرأة يا صاحبة الجلالة من السيطرة والسلطان تشتهي السيطرة على زوجها وعلى بيتها وعلى ثروتها وعلى ضيعتها وعلى كل شيء وكلهن في ذلك سواء. أنتن أيتها النساء تردن الحكم، تردن التحكم في جميع الناس، تردن أن يكون لكن الأمر وعلى الرجال الطاعة.» وما فرغ من إلقاء جوابه حتى أمّن الحاضرات عليه وغشيت وجه الملكة حمرة لا تخفيها. وهنا برزت العجوز وصاحت: «أنا يا مليكة صاحبة هذا الجواب لقنته إياه بعد أن أقسم ليأتمرن بأمري ويجيبن مطلبي؛ وهأنذا بحضرتك أتنجزه وعده. وما حاجتي إلا أن يتزوجني» شده الفارس لهذا المطلب العسير الفظيع، والتمس إليها الوسيلة للخلاص من وعده، وأخذ يغري هذه العجوز بالثروة والنشب فما أغنى عنه ماله وما كسب، وكرهت الملكة أن تكون هذه الشمطاء زوجة لفارس من فرسان القصر؛ ولكنها آثرت ذلك على أن يدنس الفارس شرفه فينقض عهده وينكث وعده وأمرته أن يتزوجها. وبنى بها الفارس مكرهاً في ليلة لم ير أسود منها. ولم يخف عليها حنقه وغيظه إذ قال: «ليت مصابي بك كان عند قبح وجهك وكبر سنك، ولكنه تجاوز هذا إلى خسة منبتك وضعة نشأتك» قالت العجوز: «أهذا كل ما يؤلمك - ألا تعلم أن شرف المنبت وطيب الأعراق ليست إلا ثروة عتيقة موروثة، وماذا يغني عنك حسبك ونسبك؟ إن كان لك مجد تليد فالفضل فيه لمن كسبه من آبائك وأجدادك؛ وإن كان لك مال قد خلفوه لك واسم كريم قد ألصقوه بك واعتمدت على هذين في طلب المجد والشرف، فما أخيب مسعاك وما أبعدك عن بلوغ القصد. المجد والشرف لا يشتريان بالمال. هأنذي امرأة وضيعة المنبت لا أملك طارفاً ولا تليداً، ولكنني لست امرأة سوء هل كان المسيح غنياً وهو مثلنا الأعلى في المجد والشرف؛ كلا بل كان جهده أن يفعل أفعال الكرام. أما قبح وجهي وكبر سني فإني أعرض عليك في ذلك اختياراً: أتريدني عجوزاً حصيفة الرأي أم فتاة ضالة في سبيل الحياة؟» قال الفارس: «الرأي لك أيتها العجوز العاقلة» قالت: «ألا ترى أنني بسطت عليك سلطاني وأخضعتك لأمري فأذنت لي أن أفعل ما أريد» قال: «نعم» قالت: «انظر إليّ واعجب لما تحولت إليه قسماتي» فنظر الفارس وإذا بالعجوز قد تحولت إلى فتاة نضرة غضة لم تقع عيناه على أجمل منها.

(الأسكندرية) الصاغ
أحمد الطاهر

# معركة السياسة
## بين هتلر وبيتان
للأستاذ يوسف شبلي

كان المحور الدكتاتوري فى المدة التى سبقت إعلان الحرب فى سبتمبر فى سنة ١٩٣٩ ، وفى المدة التى لحقت إعلانها لايقوم على أساس مشترك فى العمل بين طرفيه ، أو تساو عادل فى إبداء الرأى والقطع فيه ، بل استقل بتوجيه المحور فى أعماله وفى أفكاره طرف واحد دون الآخر ؛ وتطور الأمر فيما يختص بأحدهما إلى احتلال المقدمة ؛ وفيما يختص بثانيهما إلى الوقوف فى المؤخرة ؛ حتى أهمل أمره وهان شأنه فى الكبيرة والصغيرة على السواء

ولقد حار الكل فى تعليل الموقف فى مظهره الجديد ، وطارت الأفكار فى تلمس المعاذير والأسباب كل مطار ومدار ؛ فكثرت الاحتمالات ، وتعددت الإشاعات ، واجتهد القريب والغريب فى الاستنتاج والاستخراج ؛ ونشط الفهيم والمقيم فى الإفصاح والإيضاح . إلا أن شيئاً واحداً انقطع دونه التفكير وجف عنده مداد التحبير ، وهو أن يكون الضعف سبب الجمود ، ونفاد الحيلة العلة الأصيلة فى هذا الهبوط والقعود

أليس من دلائل القوة أن يعمد الزعيم الإيطالى فى كل مناسبة وغير مناسبة إلى الخطب الحماسية يلهب بها أعصاب سامعيه ، حتى إذا انتهى من إلقاء الخطاب تأبط شباب الفاشست — وكلهم دون سن النضوج — منشورات مليئة بالقذف والبذاء فى الإنجليز والفرنسيين ، وهرولوا مسرعين إلى حيث يقيم السفير الإنجليزى فيقابلونه بالصفير والتهليل ، وبالصاق تلك المنشورات على سيارته وعلى دار سفارته !

بل أليس من دلائل القوة أن يعمد السنيور موسولينى فى تقديم مطالبه ونشر مآربه إلى رأس المدفع فيتخذ منه مسنداً ، وإلى جناح طائرة فيجعل منه مقعداً ، ليكون من مجمل هذه المظاهر الجوفاء والحركات النكراء صورة لقوة الزعيم ورمزاً لغضب الحليم !

ما كان أحد يتوسم فى إيطاليا غير القوة والجبروت ، حتى إذا أشرفت معركة فرنسا فى الميدان الغربى على الانتهاء ، وأعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء ، طمعاً فى كسب غير مشروع ، ورغبة فى غنم مأمون ومضمون ؛ وحتى إذا فوتت انجلترا على الدكتاتورية قصدها بإطالة أجل الحرب ، وتعين على إيطاليا أن تقوم بدورها فى القتال ، تكشفت الحقيقة السافرة عن ضعف تام فى جميع ميادين الحياة والنشاط

وبينما أحد طرفى المحور يعانى مرائر الهزائم المتوالية فى ميادين القتال : ففى الميدان الشرقى انقلبت الجيوش اليونانية فى الدفاع فى بادئ الأمر إلى الهجوم ؛ وانتقلت بالحرب من البلاد اليونانية إلى الميدان الألبانى فى بضعة أيام . وفى شمال أفريقيا وشرقها ، أحرزت الجيوش الإنجليزية انتصارات حاسمة فى معارك فاصلة ، فوصلت فى الشمال إلى ما بعد بنى غازى وأسرت ثلاثين ومائة ألف أسير ، وغنمت كثيراً من عتاد القتال ؛ كما توغلت فى الشرق أميالاً عديدة فى المستعمرات الإيطالية . نقول بينما أحد طرفى المحور يعانى كل ذلك ، إذا بالطرف الثانى يفشل فشلاً تاماً فيما كان يأمله من غزو الجزر البريطانية جواً وبحراً ، وما كان يرومه من إنهاء الحرب فى هذا الميدان ؛ وكلما امتد الوقت بالحرب زاد استعداد الجزر البريطانية لملاقاة العدو إذا غامر بغزوها ، حتى صارت فكرة الغزو اليوم مما لا يمكن تحقيقه أو الإقدام عليه

وهنا وجب على إيطاليا أن تطلب المساعدة الألمانية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من حطام ومخلفات ... كما وجب على ألمانيا أن تبحث عن ميدان جديد تقهر فيه إنجلترا ، يكون أقل مناعة ، وأضعف حصانة

ولما كان أمام الألمان خطة واحدة يجب عليهم أن يسلكوها ، وهى إما الاتجاه شرقاً ، والانتقال بالحرب إلى البلقان ، ثم إلى الشرق الأدنى ؛ وإما الاتجاه جنوباً ، لتجربة خطة الغزو بحراً فى ميدان ضيق إلى شمال أفريقيا ؛ فقد وجدت فى هزيمة حليفتها واضطرارها إلى طلب المساعدة الفرصة المرتجاة ؛ فتسللت الجنود الألمانية إلى شمال إيطاليا ، واحتلت أسرابها الجوية جميع المطارات لتعمل هذه القوات فى ميدان البحر الأبيض المتوسط ، وتمنع النجدات البريطانية فى حالة الاتجاه شرقاً ، أو الاتجاه جنوباً

غير أن المطارات الإيطالية ، صار يقابلها فى ليبيا بعد الانتصارات الإنجليزية الأخيرة عدد مضاعف من هذه المطارات ، مما يجعل التفوق للقوات الإنجليزية فى هذا الميدان

إذن يجب البحث عن قواعد بحرية وجوية جديدة تطل على البحر الأبيض لضمان التفوق والاطمئنان على نجاح التجربة الجديدة

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ، ولم يبق إلا أسبانيا وفرنسا . أما أسبانيا فقد قال جنرالها للهر هتلر : إن للبحر الأبيض بابين ، أحدهما غربي ، والآخر شرقي ؛ فإذا تمكنت من إقفال الباب الشرقي ، فكرت في مساعدتك في إقفال الباب الغربي في جبل طارق ، وهذا رد لا يفوت معناه ومغزاه على لبيب

اتجه الهر هتلر إلى فرنسا ، فهي أولى بأن تتحمل نتائج الهزيمة ، وغرم الانكسار . فكاشف المسئولين من رجال حكومة فيشي بأغراضه ونياته ، من الاستيلاء على الموانى الفرنسية ، في فرنسا غير المحتلة وفي المستعمرات ؛ ومن انضمام وحدات الأسطول للعمل مع الأسطولين الألماني والإيطالي ، ضارباً بشروط الهدنة التي حفظت لفرنسا أسطولها ومستعمراتها ناحية الأفق ؛ فأبى عليه الريشال بيتان وصحبه أن يجيبوه إلى هذه المطالب والأغراض ؛ وابتدأت المعركة السياسية بين هتلر وبيتان ، تلك المعركة التي كانت منذ شهر يونيو من السنة الماضية ، تتفاوت بين مظاهر اللين والشدة ، وبين الاعتدال والاحترام ، تبعاً لتطورات الحال ، وظهور المفاجآت بين آن وآن

ففي الأيام التي تلت انكسار فرنسا في الميدان الغربي ، كانت هذه المعركة بين ألمانيا وفرنسا ، تعلوها مسحة من اللين والتهاون ، حيث كان الزعيم الألماني يمني نفسه بقرب غزو إنجلترا ، والدخول إلى قصر بكنجهام ، إذ يشرب فيه نخب الانتصار !

وأما اليوم ، وقد أغلقت جميع الأبواب ، وسدت كل المنافذ والفتحات ؛ ولم تمد يد تمتد إلى الزعيم الألماني بالمصافاة ، فقد تطورت المعركة بينه وبين بيتان إلى احتدام عنيف ، وصفته التلغرافات بأنه نضال البقاء أو الفناء

والحقيقة أن الهر هتلر يحسب حساباً خاصاً للفرنسيين ، لما يعرفه عنهم من حدة المزاج ، ولما يعلمه تمام العلم من استعداد المستعمرات لاستئناف القتال ضده عند الإشارة الأولى . لذلك جاملهم كثيراً في بداية الأمر ، وحاول جاهداً أن يستدرجهم إلى داخل الدائرة الألمانية بالحسنى ولين الجانب . ولم يطرق بابهم بشدة إلا عند ما أفزعته الحوادث ، ووصل إليه فعل التيارات الآخذة في الاقتراب منه . حتى لقد فضل أن يلج الباب الإيطالي ، بحيلة هتلرية ، تحت ستار المساعدة ومباشرة عملية الإنقاذ ، قبل أن يطرق الباب الفرنسي ، ويلح في طلب ولوجه

وإذا كانت الأنباء قد أجمعت على القول بثبات المرشال بتان أمام تهديد الألمان ، ورفضه إجابة مطالبهم ، معرضاً فرنسا لما يحتمل أن تتعرض له ، من ظروف قاسية ، لن تكون بحال أقسى مما هي عليه الآن ؛ فليس الغريب أن تأتينا الأنباء بمثل ذلك ، بل الغريب أن يجيب المريشال بتان هذه الطلبات ، ويستسلم للتهديدات ، في وقت وضح فيه الطريق أمام الحلفاء ، واتسعت فرجات النور وسط الظلام الذي كان مخيما على أوربا عند عقد الهدنة بين الفرنسيين والألمان

إن العوامل التي ترغب الفرنسيين في استئناف القتال ، وتحفزهم إلى تجديد النضال ، كثيرة وعديدة . نجد هذه العوامل في ثبات البريطانيين ، وظهور قدرتهم التامة على الوصول بالحرب إلى نتيجة مرضية . وفي موقف أمريكا التي وعدت رسمياً بمساعدة الحلفاء مساعدة لا تسمح لدولتي المحور بالانتصار بأي حال من الأحوال ؛ كما أن القانون الذي يطلق يد الرئيس روزفلت في العمل ، على وشك أن يفوز بالإقرار في مجلس الكونجرس . وفي شجاعة اليونانيين ، واستبسالهم في الهجوم في الميدان الألباني وفي الانتصارات الباهرة التي أحرزتها الجيوش الإنجليزية في ميادين الحرب الإفريقية الثلاثة ، مما يبشر بضياع الإمبراطورية الإيطالية قريباً . وفي موقف الدول التي لم تدخل الحرب بعد ، ولكنها أعلنت في صراحة تامة عن عزمها على الدفاع عن كيانها ضد كل من توسوسه نفسه بمباشرة الاعتداء عليها . وأخيراً في روح الحماس البالغة عند أهل المستعمرات الذين يتحرقون شوقاً إلى ملاقاة العدو ، والانتقام للشرف الفرنسي من هزيمة يونيو من السنة الماضية

وإذا تركنا كل ذلك ، نجد أن لفرنسا قوة مادية في أسطولها ، وفي مستعمراتها كفيلة بترجيح كفة الحلفاء إذا اختارت أن تستأنف القتال إلى جانبهم . وإذا عرفنا أن الخمسين مدمرة التي أرسلتها أمريكا إلى إنجلترا ، كانت سبباً حاسماً في بعض الميادين ، خصوصاً في ميدان البحر الأبيض المتوسط ؛ فكم بالحرى يكون الفصل لمائة وخمسين مدمرة تملكها فرنسا . لا شك أن عدداً كهذا ، يضاف إلى قوة المدمرات البريطانية ، وما عساه أن يرد من أمريكا ، وما تخرجه المصانع قريباً يكون له فصل الخطاب فيما هدد به الهرهتلر في خطبته الأخيرة من عزمه على مباشرة حرب الغواصات في الربيع القادم




## المتعاظم الصغير

يملك حب العظمة عليه نفسه ، ولقد ركبه هذا التعاظم منذ مدرجه وكبر معه ، فهو اليوم فى منتصف العقد الرابع ، طفل فى الخامسة والثلاثين . قتر على نفسه حتى اقتنى سيارة قديمة راح يتشبه بها بذوى اليسار من أصحاب السيارات الفخمة ، وإن كان مرتبه كله لا يساوى ما يدفع هؤلاء من ( بقشيش ) ؛ وقتر على نفسه مرة أخرى ، فقضى الصيف فى أوربا ، وإن كان من ذوى رحمه الأدنين من لا يكاد يجد قوته .

ومن أحب الأشياء إليه أن يذهب فى سيارته إلى القرية ، فيطلق نفيرها هناك عالياً فى داع وفى غير داع ، وينظر الفلاحون البسطاء إلى هـذا « الحدث » مبتسمين ، فيزهى إذ يخيل إليه غروره أنها ابتسامات الإعجاب . ولقد رأيته مرة — وكأنه أحد الدكتاتورين يدخل مدينة على رأس قوته المصفحة لكثرة ما تجبر يومها وتعاظم ، ولكن سيارته لسوء حظه أصابها فى تلك اللحظة عطل فوقفت ، ونظر مبهوتاً على صوت ضحكات قريبة ، وكنت غير بعيد من الفلاحين الضاحكين ، فحبست ضحكاتي مخافة أن يفهم الدكتاتور أني غيران !

ومن آلم الأشياء عنده أن تمر به فلا تحييه ، ففى ذلك إنكار منك لعظمته ، ولقد يبلغ به الألم من ذلك حد الحمى ، فإذا أقبلت مع ذلك تحييه : تباطأ وهو يقبل عليك ، وتكلف سلام العظماء ونبرات العظماء وحركة رؤوس العظماء وعبوس العظماء أو تبسمهم حسب مقتضيات الظروف

وشاع فى القرية أو أشاع هو فيها أنه ما من كبير من رجال الحكومة إلا وله عنده مكانة مهما اختلفت على كراسى الحكم ألوان الأحزاب ، وتهاوت عليه عرائض البسطاء يطلبون الاستخدام وما تزال تتهاوى عليه وهو يدسها كل مرة فى جيبه فى اتزان ووقار بالغين ولكنهما مع ذلك يثيران الضحك العميق !

وهو ينظر إلى هؤلاء من عل ويفرح أشد الفرح إذ يجد من يتملقه ، ويفتر إذ يكون بعض الناس منه كما يكون هو ممن يطرق أبوابهم من ذوى المناصب منتجدياً متملقاً ، وهو كثيراً ما يتملق ويستجدى ، وقصارى أمره أن يظفر بتعيين فراش أو نقل ساع من جهة إلى أخرى يحبها ويحسب ذلك هو الجاه أعظم الجاه ، وهكذا يتمسكن ويتضاءل فى المدينة ليزهى ويتعاظم فى القرية ويريق ماء وجهه عند أولى المناصب من يعرف منهم ومن لا يعرف ليصعر خده لطالبي الرزق وذلك عنده من أعظم لذات حياته

وإذا جلس أحب أن يلتف حوله طالبو جاهه وفضله وتراه يعجب أشد العجب إن صغرت الحلقة من حوله ، فهو يعتبر نفسه كبيراً عظيماً ومن حقه أن يلتف حوله الناس كما يلتفون حول

---

فإذا ألانت فرنسا قناتها ، مع توفر أسباب الثبات ، وأجابت الألمان إلى ما يطلبون ؛ وقنعت بنصيبها الذى بذلته فى هذه الحرب ، وبنصيبها الذى قدر لها أن تنتهى إليه ، من جرها فى ذيل العربة الألمانية ؛ فكيف يكون موقفها من مؤتمر الصلح القادم ، عند ما تنتهى الحرب بنصرة الحلفاء !

أترضى فرنسا لنفسها ، ويرضى كبرياء شعبها ، وكبرياء قوادها ، وفيهم أبطال فردون ، وأبطال المعارك الهائلة فى الحرب الماضية ، أن تلعب اليونان ، وبولندا ، وهولندا ، والنرويج ، وتركيا ، دوراً رئيسياً فى هذا المؤتمر ، ولا تستطيع فرنسا أن تمثل دوراً ثانوياً فيه ! وإذا أجلستها إنجلترا إلى جانبها فى مكان الصدارة من المؤتمر ، فكيف يكون موقفها فيما بينها وبين نفسها وهى تعلم الدور الذى قنعت بتحمله والقيام به

لا شك أن كل ذلك ، فى جملته وفى تفصيله ، قد قدره المرشال وأعوانه حق قدره وحسبوا حسابه فى المفاوضات الدائرة الآن بين فرنسا وألمانيا ، فى صدد المطالب المزعجة . ومن يدرى ! فقد يرى المسئولون عن مصير فرنسا من رجال حكومة فيشى ، أن متاعب الحرب من جديد إلى جانب حليفتهم أقل من المتاعب التى تنشأ عن مزيد ومزيد من التسليم ، فيفضلوا الحل الأول على الثانى ويصلوا بدورهم فى الحرب إلى النهاية المفروضة على أمثالهم

وليس الغريب أن يقر قرارهم على شىء من هذا ، بل الغريب أن يقف الفرنسيون جامدين ، وأن يدوم تصميمهم بالتخلف فى الطريق . وستأتينا « جهيزة » فى الأيام القليلة القادمة بفصل الخطاب فى هذا الشأن الخطير ، عند ما يقول المرشال بتان كلمته النهائية فى شأن المطالب الألمانية ، وهى كلمة الشرف والإباء ، والأنفة والكبرياء ، على ما نظن ، ويظن معنا الكثيرون .

يوسف شبلى (دار الأهرام)

# الفنـــان

[ مهداة إلى الصديق النابغة صلاح الدين طاهر ]

للأستاذ عبد المعطى حجازى

كلما أسفر فى الليل القمرْ ... مثل معنى فى خيال الشاعرِ
أو مشى الموج صفوفاً واندثر ... كأمانٍ هجستْ فى خاطرِ
أو سرى برق أو انهلّ مطر ... كسنا الشرّ ودمع الحائرِ
أو تهادى فى الأصيل الجدْوَلُ ... خافتَ الأنغام حلو النّبراتْ

قبس الفنان عنها ... بعض ألحان الخلود
وجلا للنـاس منها ... بعض أسرار الوجود

وإذا احمرّتْ من العُتب خدود ... أوشكتْ من خجل تستعرُ
وإذا ماست من الدّل قدود ... عبث الـكاس بها والوتر
وإذا ثارت على الصدر نهود ... يأسر الثوبُ فـــلا تأتمر
أو تناجت فى الشفاه القُبَل ... فتلاقت فاستحالتْ نغماتْ

ترجمتها ريشة الفنـ ... ـان الحسن نشيدا
وكستها روعة الأ ... وان أبداعاً جديدا

وجمال العيش فى صبح الربيع ... وجلال الموت فى ليل الخريف
والمنى تشرق فى الوجه البديع ... والأسى يعصف بالقلب الضعيف
وحنان الأم للطفل الرضيع ... ووميض الغدر فى الوجه المخيف
وابتسام الدهر لما يقبلُ ... وعبوسَ الحظ عند النائبات

كلها أصداء حس ... وخيال عبــقرى
مزجت سعداً بنحس ... وجميـــلاً بِزَرِى

أيها السابح فى دنيا الجمالْ ... كشعاع الشمس فى الروض الأنيق
تنثر النور وتلقى بالظـــلال ... كسنا العين من الهدب الرشيق
تمزج الحس بألوان الخيال ... مثلما يمزج بالمـاء الرحيق
أنت للفن نبى مرسل ... شهدت عيناى منك المعجزات

أنت ظل الله فى الأر ... ض افتناناً وابتداعا
أنت وحى الشمس للرو ... ض حياة وشعاعا

أيها الطائر كالنسر الجسورْ ... بجناحين : سموّ وابتكار
تحت ظل الغصن أو فوق الصخور ... ترسل الوحى إلى غير عثار
فإذا الطود على الرق سطور ... وإذا الروض نزيل فى إطار
وإذا الماضى جديد مقبل ... هب كالنائم من طول سُبات

أيها الجبار هذا الكو ... ن مُغَنًّى فى خيالك
وصدى سجله الفن ... ليحيا فى ظلالك

أيها الساحر والناس نيـــام ... تصنع الحسن وتلهو بالخلود
أيها الراهب فى دير الظلام ... تكشف الأستار عن لغز الوجود
هذه دنياك ، دمع وابتسام ... وأغاريد عِـــذاب ورعود
ونعيم بالأمانى مثقـــل ... وجحيم مستطير الجـــرات



---

أقرانه من العظماء ، وما كان فى حلقته إلا من يضمر له السخرية حين يريه الاحترام

وتراه يلوك بعض كلمات إفرنجية تعد على أصابع اليد فيحرك بها لسانه فى لهجة محطمة أكثر تحطما من سيارته ، لهجة أشبه بلهجة الأوربى الذى ينطق كلمات عربية لم تطرق سمعه إلا منذ شهر ، وأرى شأنه فى هـذا كشأنه فى استبدال ملابسه العربية بحلة إفرنجية

أما مكانته عند من يزعم من الكبراء فقصاراه فى هذا السبيل ألا تفلته فرصة إذا رأى أحد هؤلاء أو بعضهم فى أى مكان فيتقدم إليهم محيياً متهللاً يهز الأيدى التى تمتد فى فتور إليه هزاً حماسياً قوياً وهو يقول : « أهلاً فلان بك ... كيف حال سعادة البك » . ولا ينصرف إلا بعد أن يكرر تحياته وإن هموا هم بالانصراف دون أن ينظروا إليه لأنهم لا يعرفونه ! وهى بعد مقدرة على أى حال أميل إلى أن أسميها ( فن الحياة ) فنى الناس من لا يستطيع أن يسلم على من يعرف حق المعرفة ممن هم أكبر منه !

رأيته ذات يوم يطلع المحيطين به على البطاقات الكثيرة التى جاءته فى العيد ، وقد مهد لذلك بذكر ما شاء له زعمه ممن يعرف من « الباشوات والبكوات » . وكانت البطاقات كلها مرسلة إليه حقاً وفيها من هذه الألقاب حقاً ؛ ولكن لم أر على واحدة منها غير كلمة ( للشكر ) فحسب !

وآخر مرة رأيته فيها كان محنقاً فقد حياه أحد الريفيين بقوله يا شيخ فلان ، وهذا هو اللقب الذى يجرى على ألسنة البسطاء من أهل الريف إذا أرادوا التعظيم ، وعجبت لم يغضب وهو شيخ فى نشأته العلمية قبل كل شىء وكان أولى به أن يجعل هذا اللقب مدعاة فخره ، ولكن هيهات أن يرضى حتى بالأفندى وهو عند نفسه سعادة البك !

الخفيف

# البريد الأدبي

### زهر الآداب

أخبرني جماعة من الأصدقاء أن الأستاذ السباعي بيومي حدثهم أنه سيكشف الأغلاط التي فاتتني وأنا أنشر كتاب الحصري، كما أصنع في كشف الأغلاط التي فاتته وهو ينشر كتاب المبرد.

وأقول: إني طبعت كتاب «زهر الآداب» مرتين، وقد تداركت في الطبعة الثانية ما فاتني في الطبعة الأولى، فإن كان الأستاذ يريد كشف أغلاط الطبعة الثانية فسيؤدي إليّ جميلاً أذكره له مع الثناء في الطبعة الثالثة. أما إن كان يريد كشف أغلاط الطبعة الأولى فجهده ضائع، لأني سبقته إلى ذلك بنحو عشر سنين، ولأن صفحات الرسالة تضيق عن الحديث المعاد

---

أنت عنوان الحياة ... أنت رمز للزمان
مستبد أنت عات ... ورفيق أنت حان
إن يكن في الأرض سحر أو جمال ... فهو الفنان في الدنيا سناه
أو يكن في الحب شوق أو ملال ... فهو الفنان للحب صداه
أو يكن للشمس نور أو جلال ... فهو الفنان مشكاة الحياه
ذلك الفنان وحي منزل ... أنطق الصامت بل أحيا الموات
أوقفت ريشته الدهر ... فلبى واستجابا
وكست من خلدها العمر ... مدى العمر شبابا
بشر مثل جميع البشر ... رفعته ريشة عن مستواه
كاد لولا قطرة من حذر ... يزدري الناس ويحيا كإله
إنه الفنان، صوت القدر ... وهوى الفنان دستور الحياه
هو دنيا رف فيها الأمل ... وثوى اليأس ودارت دائرات
عالم تصطخب الآلا ... م والآمال فيه
ويضل العقل والأفها ... م فيما يحتويه

(الإسكندرية) عبد المعطي حجازي

### الوحدة العربية

أجبت دعوة «جماعة الطلبة العرب» بكلية الآداب لسماع محاضرة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام في شرح (عناصر الوحدة العربية) فالتفت ذهني إلى ظاهرة تستحق التسجيل، وهي إقبال الجمهور على تلك المحاضرة مع بعد المكان، فهل يكون ذلك إلا دليلاً على أن فكرة الوحدة العربية صارت في مصر من الأمور ذوات البال؟

أرجو أن ينشر الدكتور محاضرته تبليغاً لما دعا إليه من كرائم الأغراض

### نقل الأديب

من واجبي نحو نفسي أن أعلن أني استوحشت لغياب الشذرات النفيسة جداً، الشذرات التي كان ينشرها الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي على صفحات (الرسالة) فمتى يعود؟

هي مختارات منقولة من هنا وهناك؛ ولكن الذوق في نقلها قد بلغ الغاية في شرف التحليق؛ وأظنها ستصبح كتاباً يحق له أن يسمى «كتاب الأمة العربية»

زكي مبارك

### بعد انتهاء مناقشات رسائل الأستاذية

في يوم الإثنين الماضي انتهت المناقشات العلنية لرسائل «الأستاذية» الأزهرية المقدمة في هذا العام. وقد رأيت بهذه المناسبة أن أدلي ببعض الملاحظات بشأن هذه الدرجة العلمية التي لا أشك في أن الأزهر يفتتح بها في حياته الدراسية الحافلة عهداً جديداً سيكون ذا أثر بعيد في توجيه نشاطه العلمي توجيهاً صحيحاً.

وقبل أن أدلي بهذه الملاحظات، أود أن أنوه بظاهرتين جديرتين بالتسجيل، تجلتا بوضوح أثناء المحاضرات العامة والمناقشات العلنية:

الأولى: أن الأزهريين قد خطوا خطوة موفقة في التقريب بين طريقتهم الخاصة في التعمق في النقاش والبحث والتحليل اللفظي، والطريقة الحديثة في العرض المنظم والابتكار، بما جمل

جمهور المستمعين يدرك أن الطريقين تتكاملان ، ولا غنى عن الاستعانة بهما معاً في الدراسات الأزهرية في العصر الحاضر .

الظاهرة الثانية : وجود مدرستين علميتين في الأزهر : المدرسة القديمة التي تتشبث بما خلف السلف من تراث علمي تقف بنشاطها عند حد تفهمه وتفهم أحكام الشريعة والعلوم المتصلة بها في نطاقه ؛ والمدرسة الحديثة التي ترى أن السير على منهاج أولئك الأئمة الأمجاد يقتضي بذل المجهود الشخصي المستقل لأداء رسالة العصر الحاضر للشريعة وعلومها ، كما أدوا رسالة عصورهم لها ؛ ومن وافر حظ الأزهر أن تتم الغلبة للمدرسة الحديثة في ظل إدارته الحالية

تفضل الأنظمة التي اتبعت في امتحان هذه الدرجة نظائرها المتبعة في امتحانات الدكتوراه في الجامعات الأخرى في نواح ، كما تقصر عنها في نواح أخرى

أما ما تفضلها فيه فهو :

١ — إلزام طلاب « الأستاذية » بإلقاء محاضرات عامة تمشي مع الرسائل فكرة صحيحة عن مقدرة كل منهم في الإبانة بالقول والكتابة والبحث

غير أننا نلاحظ على المحاضرات والرسائل أن موضوعات معظمها أبواب عامة من الفقه لا يكون للمجهود الشخصي فيها سوى أثر ضعيف قوامه التجميع والتنظيم . وعهدنا بموضوعات الرسائل والأبحاث الجامعية التي من هذا القبيل أن يتناول كل منها بالبحث نقطة معينة يتولى الباحث تقرير كيان مستقل لها مما لا يبرز فيه سوى المجهود الشخصي المستقل

٢ — خضوع كل عضو من أعضاء لجنة مناقشة الرسائل لرقابة بقية الأعضاء أثناء دوره في المناقشة ، تلك الرقابة التي يظهر أثرها بتدخلهم للفصل فيما يكون موضع خلاف بين الأستاذ وصاحب الرسالة ، أو لجلاء بعض النقط الغامضة أو لغير ذلك مما تتكشف المناقشة عن ضرورة الاشتراك في بحثه . وإننا مع ترحيبنا بمثل هذا التدخل النافع لا يفوتنا أن ننبه إلى أن ما تقضي به الضرورة يتقدر بقدرها الذي لا ينبغي تجاوزه بحال

٣ — جعل الحكم في صلاحية الرسالة للمناقشة في يد هيئة بدلاً من فرد

ويقصر نظام هذا الامتحان عن نظام « الدكتوراه » في النواحي الآتية :

١ — لا يخصص لكل رسالة أستاذ يكون لصاحبها نصيب في اختياره ليشرف على توجيهه توجيهاً علمياً أثناء كتابتها

٢ — التساهل في إقرار صلاحية رسائل للمناقشة ظهر أنها لم تكن جديرة بذلك مما أدى إلى تكليف أصحابها تقديم رسائل أخرى .

٣ — لم يتبع التقليد الجامعي في إتاحة الفرصة لصاحب الرسالة لعرضها بإيجاز على جمهور المستمعين قبل البدء في المناقشة

٤ — لم يبدأ أعضاء اللجنة أدوارهم في المناقشة بالتنويه بما يعتبرونه مواطن إجادة في الرسالة المقدمة ، بل كان كل همهم محصوراً في تقصي النقائص أو الإطراء بصفة عامة مما فوت كثيراً من التشجيع النافع والتنويه بما يستحق التنويه

٥ — كانت الأحكام التي صدرت في الرسائل متأثرة في الغالب بما أصابه أصحابها من التوفيق في المناقشة الشفوية ، لا بمجهود كل منهم في كتابتها وأثره الشخصي فيها

٦ — لا يقضي النظام الحالي — فيما نعلم — بطبع الرسائل ولم توضع قواعد لتبادلها مع الجامعات الأخرى ؛ وينبغي — على الأقل — أن يقوم الأزهر بطبع الممتاز منها على نفقته مع تقرير نظام التبادل حتى يعم النفع

ابراهيم زكي الدين بدوي

المتخرج في الأزهر وكلية حقوق باريس والقاهرة

## تعليق

طلب مني من لا تسعني مخالفته ، أن أعلق على ما كتبه الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم في العدد الأخير من الثقافة في إيجابه أن تكون مفاتيح جمعاً لمِفتح ، وتخطئة من يقول إنها جمع مفتاح وعندي أن الأستاذ قد أسرف في دعوى التخطئة ، ولو قال إن جمع مفتاح على مفاتح في غير ضرورة مخالف لرأى البصريين لكان قوله أدنى إلى الصواب .

فلقد جوّز الكوفيون زيادة الياء فيما يماثل مفاعل في عدته وهيئته ، وحذفها مما يماثل مفاعيل ؛ فقالوا في جمع جعفر :

جماقر وجماقير ، وفي جمع عصفور : عصافر وعصافير . وجعلوا من الأول قوله تعالى : « ولو ألقى معاذيره » ومن الثاني قوله : « وعنده مفاتح الغيب » على أن يكون مفرد الجمع الأول مقدرة ، ومفرد الجمع الثاني مفتاح .

محمود حمزة
مفتش بالمعارف

## الى الأستاذ محمود الخفيف

تحية طيبة ... وبعد فقد تهجمت (من وراء المنظار) على نائب محترم نعزه ونجله ويعظمه أعيان دائرته فكتبت إليك هذه الكلمة رداً على مقالك من غير تعليق

قرأ أحد النواب الفرنسيين ذات صباح مقالاً يهاجمه فيه الكاتب هجوماً بلغ حد الإهانة ، فبلغ به الغضب مبلغاً عظيماً وأسرع إلى صديق له يسأله كيف يستطيع أن يرد هذه الإهانة : أيدعو الصحفي إلى المبارزة ؟ أم يطلب منه أن يعتذر رسمياً ؟ ولكن صديقه كان عاقلاً إذ ابتسم وقال : « لا عليك يا صاحبي من هذا كله ، فإن نصف قراء الصحيفة لم يلاحظوا هذا المقال ، ونصف الذين لاحظوه لم يقرأوه ، ونصف الذين قرأوه لم يفهموه ، ونصف الذين فهموه لم يصدقوه ، ونصف الذين صدقوه لا قيمة لهم ... فماذا يبقى بعد ذلك ؟ »

هل أنت فاهم يا صاح ؟ وهل عرفت أنك كالحادي وليس له بعير ؟

حسين فهمي صادق
بكلية الحقوق

## الى الأديب حسين فهمي

حيرتني في غير داع بكلمتك ، فما كتبت مقالي عن شخص معين ؛ والذي كتبت عنه ليس بنائب ولا بذي دائرة بالطبع ، ولا هو ممن يعزه أحد بالضرورة

وما قابلت إنساناً ممن يفهمون ما يقرأون إلا حدثني أن هذه الصور التي أجلوها إنما هي صور شائعة في كل بلد فلا تمس واحداً بالذات

أما عن قصتك فيكفي أن أنبهك وكنت خليقاً أن تنتبه من تلقاء نفسك أني لم أكن حادياً بغير بعير ، وأظنك فهمت الآن مَنْ بعيري ... فأنت بلا شك من ذلك النصف الذي فهم ، ولا عليّ إن كنت صدقت أم لم تصدق

الخفيف

## شبابيك القلل

كتب الدكتور زكي محمد حسن في العدد ١١٢ من (مجلة الثقافة) مقالاً بهذا العنوان أود أن أعلق عليه بكلمة صغيرة فقد قال فيه : « ومن العجيب أن يعنى بزخرفة شبابيك القلل إلى هذا الحد بينما تبقى القلل نفسها بغير طلاء أو رسوم زخرفية » .

ولقد فات الزميل الفاضل أن القلل في العصور الوسطى كانت على نوعين أحدهما نسميه — في اصطلاحنا العرفي — « القلل الصيفية » وتستعمل صيفاً وهي من الفخار غير الطلي ، لأن مسامها تساعد على تبريد الماء . والنوع الثاني « القلل الشتوية » وتستعمل شتاء لأنها مكسوة بطلاء زجاجي يحفظ على الماء درجة حرارته الطبيعية

وقد لاحظنا أن بعض أبدان القلل التي وصلت إلينا من هذين النوعين تزدان برسوم زخرفية غاية في الجمال كما يظهر ذلك في اللوحات الثلاث الأول من كتاب الأستاذ أولير الذي ذكره في مقاله . وإذا كنا لم نجد كثيراً من القلل ذات الرسوم الزخرفية فهذا يرجع إلى أن الأجزاء التي عثرنا عليها هي بقايا من هذه القلل فقط ، ولا ينهض ذلك دليلاً على ما ذهب إليه الدكتور من أن أبدان القلل لم تكن مزخرفة

وقال أيضاً : « إن الرسوم الآدمية ورسوم الحيوان والطيور والأسماك التي نراها على تلك الشبابيك يشهد معظمها بأن صانعها كانت تنقصه المهارة ودقة الملاحظة حتى أن رسومه تبدو صبيانية وغير دقيقة »

ولئن صحت هذه الملاحظة نسبياً فيما يختص بالرسوم الآدمية فإنها لا يمكن أن تصح بأي حال في الحيوانات والطيور والأسماك

وأن نظرة واحدة للرسوم التي نشرها الدكتور – وهي ليست بأجمل ما في مجموعة شبابيك القلل – لكافية للاقناع بما كان عليه هؤلاء الفنانون من دقة الرسم وحرية التعبير

وعند ما تعرض لتأريخ هذه الشبابيك قال « وليس من السهل تأريخ شبابيك القلل المحفوظة في المتاحف والمجموعات الأثرية لأنها من منتجات الفن الشعبي »

فهل للزميل المحترم أن يعرّف لنا ما يفهمه هنا من اصطلاح الفن الشعبي ؟ ألم تكن القلل كباقي أنواع الصناعات الزخرفية في الفن الإسلامي مثل الخزف والخشب والمنسوجات والزجاج الخ ... فيها الثمين والرخيص ، يشتريها خاصة الناس وعامتهم كل على حسب مقدرته المالية ؟ وكانت الرسوم الزخرفية والدقة الفنية في الصناعة توزع بين هذا وذاك كل حسب قيمته ؟

وفي ختام كلمته قال الدكتور زكي بعد أن أشار إلى كتاب الأستاذ أولمر عن شبابيك القلل : وصفوة القول أن الأستاذ أولمر ظن أنه يستطيع الوصول إلى تأريخ بعض شبابيك القلل بواسطة الموازنة بين رسومها ورسوم سائر التحف الممكن معرفة تاريخها ، ولكنا نظن أنه بالغ في تقدير النتائج التي تؤدي إليها هذه الطريقة

فهل فات زميلي الدكتور أننا عثرنا على بعض هذه الشبابيك مطلية بالطلاء ذي البريق المعدني ، وكان الفضل الأكبر في ذلك إلى الأستاذ حسين راشد رئيس أمناء دار الآثار العربية ، كما ذكر ذلك الأستاذ أولمر في مقدمة كتابه (ص ٨ وما بعدها) ، ونشر صورها في اللوحة الأولى ، وكان لهذه المجموعة أكبر الأثر في تأريخ شبابيك القلل التي تنسب إلى العصر الفاطمي ؛ والبريق المعدني كما يعلم صديقي الفاضل معروف وقت استعماله في الخزف المصري . ولا أدري لماذا لم يذكر حضرته هذا النوع في مقاله . ولعله على رأي آخر في هذا الصدد نود لو يكشف لنا عنه

دكتور محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية




# الرجـــل الصامت

## عن الروسية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان فى فندق القرية ضيوف كثيرون لا أعرف معظمهم ، وانقضى النهار وجانب من الليل ونحن فى هرج وضوضاء ، فلما بلغت الساعة الثانية بعد منتصف الليل بدأنا نفكر فى النوم فانصرف من انصرف وبقى فى الفندق ثمانية . ولم يكن خالياً من غرفه غير أربع، فقالت لى صاحبة الفندق: إن هذا الضيف سيكون شريكا لك فى غرفتك واسمه ( ماكسيم سيمونوفتش ) وأشارت إلى رجل قصير القامة ضئيل الجسم فقلت : لا بأس وإن كنت أوثر أن تكون لى غرفة وحدى

تقدم نحوى سيمون وقال : أترى مانعاً من مشاركتى إياك ؟ . . .

فقلت : كلا وماذا عسى أن يكون المانع ؟ . فقال إننى قليل الكلام وأخشى أن يكون من عاداتك قبل النوم أن تتحدث فلا تسر برفيق صامت مثلى

قلت : وأنا أيضاً أحب الصمت . فقال : إذن فلن يؤذيك صمتى الطويل

ودخلنا غرفة النوم فقال : فى النـاس من لا يستطيعون الصبر على صاحب صامت ، ولذلك سألتك حين رأيتك هل تحب الكلام فإن كثيرين ممن عرفونى أبغضونى لأننى قلما أتكلم

ابتسمت وقلت له : لا يشغل بالك هذا الخاطر . فقال : شكراً لك . وخلع إحدى حذائيه وأمسكها بيده . ثم أطرق لحظة وقال : لقد حدثت لى حوادث بسبب الصمت أذكر لك منها : أننى سكنت فى عهد شبابى فى غرفة واحدة مع صديق لى اسمه أورلوف وكان ينقضى اليوم واليومان وأنا صامت ؛ فتضجر وصار يسخر منى ويتهمنى بأننى سيء الضمير ، وسألنى : هل أقسمت لا أتكلم ؟ فقلت : كلا . فقال : إذن تكلم . فقلت : عن أى شىء ؟

وانقضى يومان وأنا صامت ، فأمسك زجاجة وقال : تكلم وإلا ضربتك بها فى رأسك

قلت : إن ذلك لن يكون جميلاً منك لو فعلته

ومضت ثلاثة أيام ولم أتكلم . ودخلنا لنبدل ثيابنا كما نفعل الآن فخلع حذاءه ورمانى به وقال: أنت كالميت لا تنطق ولا تتحرك، وأن الحياة معك كالحياة بين المقابر ؛ فسأترك لك الغرفة غداً . هذا ما قاله ولـكن هل تعرف ماذا فعل ؟

قلت : كلا

فضحك سيمون واستمر يقول : والله لقد خرج ... خرج من الغرفة ولم يعد إليها وقد كان فى حالة عصبية ... ولـكن هل تعرف أن فتاة غضة الشباب موفورة الصحة تنتابها هذه الحالة ؟ لقد كانت لى خطيبة أحبها وكانت تحبنى وقالت إنها أحبتنى لأنى رجل جد وعمل ولأننى مفكر غير ثرثار . لقد قالت ذلك فى أول عهدى بها ولكن لما قدم العهد بيننا سألتنى لماذا أنا كثير الصمت؟ فقلت ولماذا أتكلم ؟ فقالت أليس لديك ما تقول ؟ قل ما فعلته اليوم أو ما رأيته. فقلت لها باختصار لقد كنت فى مكتبى ثم تغديت وجئت لزيارتك . فقالت : إنها تخافنى لأنى قليل الـكلام فقلت : هذه طريقتى فأحبينى كما أنا . . .



وبعد أيام زرتها فوجدت معها شاباً كثير الـكلام ، فظل يحادثها بغير انقطاع ، وكان كل حديثه تافهاً ، وإننى لأعجب له كيف كان يؤاتيه هذا الـكلام . لقد كان يسألها هل تعرف الرقص ، ثم يقص عليها خبراً رآه ويسألها عن معنى إهدائها إليه وردة صفراء ... كلام كثير لا أعرف من أين يخلقه وهل لإهداء وردة صفراء أى معنى ؟ وكانت تصغى إليه ... إلى أحاديثه التافهة ... إلى أسئلته ... وكانت تجيبه ... وكنت أراهما ولا أتكلم . ثم أخذا يتهامسان ويبتسمان وهما ينظران إلى . وبقيت صامتاً ثم تركت لهما المكان ... وبعد أيام زرتها فجاء هذا الشاب وقال لى : ما الذى تفعله هنا ! اذهب وإلا قتلتك فقلت : جئت

لأزور ماريا بتروفنا فقال : اذهب أيها الوغد

وأردت إقناعه بأنه مخطئ ولكنني رأيت الفتاة تضحك وتقول : اذهب فإنني لا أحبك لأنك قليل الكلام ! آه ما أحمق هذه الفتاة !

لما بلغ سيمون هذا الحد من حديثه كنت شعرت بحاجة شديدة للنوم ، فابتسمت وقلت : قصة جميلة ! أسعدت مساء

فقال : سعد مساؤك وطاب نومك . إن الرجال خير من النساء ، فهم يزنون الأمور بميزان المنطق ، وأما النساء فهن غاية في الغرابة . إنني أعترف لك بأنني أحببت امرأة متزوجة وأحبتني في أول الأمر ، ولكنها بعد ثلاثة أيام فقط زهدت فيّ واحتقرتني وقالت : لقد قبّلتُ قبلك كثيراً من الرجال ، ولكنني لم أقبّل غيرك جثة هامدة ... أنت رجل مضحك فاذهب من أمامي ... لقد قالت لي ذلك ؛ فلما لم أذهب ، خرجت هي من تلك الغرفة ، وقالت لزوجها بنفسها : إن في المنزل رجلاً غريباً ... هل أنت سامع ؟

فقلت له وأنا بين النوم واليقظة : إنني أريد أن أنام ، فنحن في منتصف الساعة الرابعة ، فقال : أنحن في منتصف الساعة الرابعة ؟ لقد آن وقت النوم

وخلع حذاءه الثاني وقال : لقد كنت مسافراً مع أحد الأعيان ، فبقيت كعادتي صامتاً في الطريق

عند ذلك أغمضت عيني ودفعت صوتي بالغطيط لكي يحسبني نائماً فيسكت ، ولكنه استمر يقول : فسألني عن الجهة التي أسافر إليها ؛ فقلت له : نعم ... هل نمت أيها الشاب ؟ هل أنت سامع ؟ أنائم هو ؟ أهو غير نائم ؟ ها ها ! لقد كان الشاب الذي سكنت معه يفعل مثل ذلك ... لقد كان ينام ساعة يضع رأسه على الوسادة ... إن الناس لا يحبون كلامي ... ها ها !

فرفعت رأسي وقلت له بلهجة التهكم :

— لقد قلت لي إنك رجل صامت ، وأنا الآن أشك فيما تدعيه

فقال : إنني أتكلم عن حوادث جرها حب السكوت . ومن تلك الحوادث ، أنني ذهبت مرة لأعترف للقسيس فسألني :

— أي خطيئة ارتكبتها ؟ فقلت : خطايا كثيرة

فقال : قلها . قلت : كل الخطايا

فسكت القسيس وسكت أنا

فقلت له بصوت المغضب وقد جلست على الفراش :

— كلما زدت في حديثك عن الحوادث المؤيدة لحبك للصمت زاد في نفسي اليقين بأنك كاذب !

فقال : لماذا ؟ هل في حديثي ما يبعث على الشك في حبي للصمت ؟ إن حبي للصمت قد آذاني كثيراً ، فقد كنت مرة بالمكتب ، فجاء رئيسي وسألني : هل لدي أخبار ؟ فقلت : كلا ، فقال : ما معنى قولك كلا ؟

قلت : إنني نائم ، ليلتك سعيدة ! ليلتك سعيدة !

فقال سيمون : ليلتك سعيدة ، وقد قلت له إنني لا أعلم شيئاً من الأخبار ، فقال : هذا جواب غير مناسب ؛ فقلت : وبأي جواب أجيبك ؟

غلبني النعاس فنمت نوماً عميقاً ، ولما استيقظت في الصباح سمعت صوتاً بجانبي ، ونظرت إلى سيمون فوجدته يقول :

— وقد طلبت مني زوجتي الطلاق لأنني صامت ، وهي تريد إنساناً لا جماداً ؛ فقلت لها : يا عزيزتي ليدا وعن أي شيء أتكلم ؟

**عبد اللطيف النشار**

---



---



( طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين )